جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

وظائف ومهن وحرف المغاربة في الحرمين الشريفين خلال عصر المماليك (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)

إعداد

محمد ثروت محمود عبدالقادر

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر

(العدد السابع والثلاثون)

(الإصدار الرابع .. نوفمبر)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

وظائف ومهن وحرف المغاربة في الحرمين الشريفين خلال عصر المماليك (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)

محمد ثروت محمود عبدالقادر

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، مصر.

البريد الإلكتروني: mohamedtharwat.25@azhar.edu.eg

الملخص:

تمتعت بلاد الحرمين الشريفين بمكانة روحية وسامية في نفوس المسلمين، ولذلك وفد عليها رجال من كل فج عميق لتأدية فريضة الحج، كما استقطبت أعدادا كبيرة من العلماء وطلاب العلم والتجار، واستقر بعضهم بها لمجاورة الحرمين الشريفين، كونها مركزًا مهمًا من المراكز الدينية والتجارية خلال العصر المملوكي، وكان المغاربة من ضمن الفئات المجاورة بالحرمين الشريفين، وكان لهم دور كبير في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، من خلال اسهاماتهم في تولي بعضهم الوظائف الدينية والإدارية والخدمية، بجانب المهن والحرف الصناعية والتجارية والعلمية والاجتماعية التي تناسب البعض منهم، بما يحقق النفع المادي للعاملين بها، ومصدر دخل لهم.

ومن خلال مشاركتهم في هذه الوظائف والمهن والحرف كان له الأثر الواضح على الحياة العامة علي أهالى الحرمين الشريفين والوافدين عليه خلال العصر المملوكي، وهذا ما سنوضحه خلال صفحات هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: المغاربة، الحرمين الشريفين، الوظائف، المهن، الحرف، المجاورة، الأوقاف، العمارة.

Jobs, professions, and crafts of Moroccans in the Land of the Two Holy Mosques during the Mamluk Era (648-923 AH/1250-1517 AD)

Mohamed Tharwat Mahmoud Abdelkader
Department of History and Civilization- Faculty of Arabic Language- Al Azhar University- Zagazig- Egypt.
E-mail:mohamedtharwat.25@azhar.edu.eg

Abstract:
The country of the Two Holy Mosques enjoyed a spiritual and sublime status in the hearts of Muslims,Therefore, men from all over the region came to perform the Hajj pilgrimage,It also attracted large numbers of scholars, students of science, and merchants,Some of them settled there near the Two Holy Mosques, Being an important religious and commercial center during the Mamluk era, Moroccans were among the groups neighboring the Two Holy Mosques,They played a major role in religious, scientific, social and economic life,Through their contributions, some of them assumed religious, administrative and service jobs,In addition to the industrial, commercial, scientific and social professions and crafts that suit some of them,In order to achieve the financial benefit of its employees,And a source of income for them,Through their participation in these jobs, professions and crafts, it had a clear impact on public life for the people of the Two Holy Mosques and those arriving there during the Mamluk era, This is what we will explain throughout the pages of this research,God bless.

Keywords : Moroccans,the Two Holy Mosques, Jobs,Professions, Letter, Neighboring, Endowments, Architecture.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق، سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من والاه واتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

تمتعت بلاد الحرمين الشريفين بمكانة روحية سامية وعظيمة في نفوس المسلمين، والمسجد الحرام أول بيت وضع للناس لعبادة الله – سبحانه وتعالى– قال تعالى﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًاوَهُدَىلِّلْعَلَمِينَ ﴾[١]، وقد اختار كثيرون الإقامة بمكة، تبركاً بها، وقد أثر عن النبي ﷺ قوله وهو يخطب بمكة فقال:" وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ"[٢].

لم يكن هناك أفضل من البقاع المقدسة في مكة والمدينة المنورة كأماكن للمجاورة [٣]، وقد جذبت هذه المكانة عدداً كبيراً من المسلمين الذين توافدوا على الحرمين الشريفين من مختلف أقطار العالم الإسلامي على مدار العام لأداء

---

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٦).

(٢) الترمذي: محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): الجامع الكبير سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، ١٩٩٨م، باب فضل مكة، حديث رقم (٣٩٢٥)، ج٦، ص٢٠٧.

(٣) المجاورة: في اللغة من جَاوَرَ و يجَاوَرَ ومنه المُجَاوَرَةً أي ساكنه ولاصقه في المسكن، وجاور المسجد أي اعتكف فيه، ويقال جاور مكة أو المدينة، الرازي: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٦٤؛ ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي المصري(ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٤، ص١٥٣.

فريضة الحج، وزيارة المسجد النبوي الشريف، كما أنه يمثل مركزاً هامًا من مراكز الحياة العلمية والتجارية، والذي لم يلبث أن فضَّل بعضهم مجاورة الحرمين الشريفين[١]، وقد قصد المغاربة الحرمين الشريفين،وشكل الوافدون والمجاورون منهم جزءًا كبيرًا من سكان مكة والمدينة المنورة [٢]، وقد تعددت دوافعهم إما لأغراض دينية وعلمية وسياسية وتجارية، سواء حجاجاً أوطلاباً لتأدية الفريضة والارتشاف من علم شيوخها والعلماء المجاورين بها والوافدين عليها[٣].

ومع مرور الزمن ازداد عدد المجاورين المغاربة بالحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي، سواء فرادى أو مع أسرهم، وقد انعكس وجود هؤلاء المجاورين المغاربة باختلاف مدة إقامتهم من شخص لآخر فكانت المدة تطول وتقصر حسب أحوال ورغبة المجاور والظروف المحيطة به[٤]، وهناك من فضل البقاء

(١) الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي(ت٨٣٢هـ/١٤٣٢م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م،ج٤، ص٤٢٦؛ ج٥، ص٥٢٠؛ ج٦، ص١٤.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٩٨؛ ٣٦٦، ٣٦٧؛ ٣٨٧؛ ج٣، ص٦٧، ٦٨؛ ج٥، ص ٣٧١، ٣٧٢؛ ابن حجر: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمدالعسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد، الهند، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج٥، ص٤٤٥؛ علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٢٠٩؛ ص٢١٨.

(٣) علي السليمان: العلاقات الحجازية، ص٢٠٩؛ ٢١٨، ٢١٩.

(٤) الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزي(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق: محمد أنس الخن، كامل محمد الخراط، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج٨، ص٢١٩..

فيها فترة من الزمن، ثم رحل بعد تحقيق الأهداف التي بقي من أجلها، ومنهم من فضل الاستقرار الدائم بها، وطاب له العيش فيها بين أهلها، والانتماء إليها وأصبحت وطنًا ثانيًا لهم حتى أدركه الموت، وقد شملت بعض الأفراد من المغاربة الذين تصاهروا وأنجبوا أولاداً اندمجوا وتفاعلوا مع عناصر المجتمع بالحرمين الشريفين، واعتنى البعض منهم بتوريث أبنائهم الميراث العلمي وتولوا الوظائف الدينية والإدارية والخدمية وما يلحق بها، وشكلوا على مر السنين جزءاً من نسيج المجتمع بالحرمين الشريفين، مكونين بذلك أسراً علمية مشهورة تأثروا وأثروا في الحياة العامة لطول إقامتهم هناك(١).

وتكمن أهمية الموضوع في دور المغاربة في الوظائف والمهن والحرف في الحرمين الشريفين في العصر الملموكي، من خلال طبيعة الأعمال التي تناسب البعض منهم، مما كان له الأثر الواضح على الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية علي أهالِي الحرمين الشريفين والوافدين عليه، وقد تنوعت مهامهم أثناء مجاورتهم بها، والذي تمثل في العديد من الوظائف الدينية والإدارية والخدمية، ودورهم في المهن والحرف الصناعية والتجارية والعلمية والاجتماعية، بما يحقق النفع المادي للعاملين بها، ومصدر دخل لهم.

(١) أحمد عمر الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية(٣٠١- ٤٨٧هـ)، الطبعة الأولى، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٥٠، ١٥١..

– أهداف الدراسة

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

(١) رصد إسهامات فئة العلماء والفقهاء والمتصوفة المغاربة في بلاد الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي، من خلال الانخراط في المجتمع وتوليهم الوظائف الدينية والإدارية والعمل في ميادين الحركة العلمية والأدبية، وبعض المهن والحرف التي تناسب مكانتهم العلمية، بحيث لا يعيق العالم عن تحصيله العلمي وأداء دوره وأثره في مجتمعه.

(٢) إبراز دور المجاورين المغاربة، وتتبع المهن والحرف التي عملوا بها في الحرمين الشريفين، والتي كانت مصدر دخلهم، أو ابتغاء الأجر والثواب من الله – تبارك وتعالى– .

(٣) الوقوف على الأثر الذي تركه المجاورون المغاربة في الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي، مع بيان أحوالهم ومآثرهم في شتى ميادين ونواحي الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية وأثرهم على المجتمع المكي والمدني ونتائجه.

– منهج الدراسة

ارتكزتُ في الدراسة على المنهجين الوصفي، والتحليلي الاستقرائي؛ مع مراعاة ترابط المعلومات، ورتبت تراجم المغاربة الواردة في كل وظيفة أومهنة أوحرفة حسب تاريخ وفاة المترجم له من الأقدم إلى الأحدث، واعتمدت ذكر الأصل للمترجم له في كثير ممن تلقب به بعض الأفراد والأسر المغربية بأسماء بلدانهم الأصلية والتي ينتمي إليها أصله وعادة مسقط رأسه ورحلاته، أو باسم من اشتهر من أهلها والانتماء القبلي له، وهناك بعض الأبناء من الأسر المغربية التي استقرت في مكة والمدينة المنورة ونسبوا إليها وعُرفوا بالمكيين والمدنيين بجانب ذكر أصلهم المغربي، لذا فقد أوردنا منهم أمثلة أسوة بما كان لهم دور مهم من المغاربة في الحرمين الشريفين.

وقد قسمت الدراسة إلى: مقدمة ومبحثين وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وقد تناولت في المقدمة: الحديث عن أهمية الموضوع وأهدافه، وعرضت في المبحث الأول: وظائف المغاربة في الحرمين الشريفين، أشرت فيه إلى الوظائف الدينية، وذكرت وظيفة القضاء والإفتاء والخطابة والإمامة والحسبة والأذان، وتحدثت عن الوظائف الإدارية والخدمية، وتناولت الحديث عن ناظر الأوقاف ومشيخة الرباط، ومباشرة المسجد الحرام، وخدام درج الكعبة الشريفة، والفراشة، والسقاية والبوابة، وكذلك العمارة والعمل في خدمة الأضرحة، وتحدثت في المبحث الثاني عن: مهن وحرف المغاربة في الحرمين الشريفين، وفيه ألقيت الضوء على حرفة الزراعة، وتناولت الحديث عن المهن والحرف الصناعية، وذكرت حرفة الخياطة والدهان والصياغة والعطارة والنجارة والخِرازة، وحرفة التجارة، وتناولت الحديث عن المهن والحرف العلمية والاجتماعية، وأشرت فيه إلى حرفة نسخ الكتب وتجليدها، ومهنة التدريس والطب والوثائق والشهادة، وختمت الدراسة بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول

وظائف المغاربة في الحرمين الشريفين

تنوعت الوظائف التي شغلها العلماء في بلاد الحرمين الشريفين، ولا شك أن هذه الوظائف التي وفرتها الدولة مساهمة في تلبية الشرائح الاجتماعية المختلفة والمقدمة إليهم في مباشرة الأعمال الدينية والادارية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة، وكان العلماء يشغلون تلك الوظائف برواتب مخصصة من قبل الدولة المملوكية(١)، وتحقق النفع المادي للعاملين بها، ومصدر دخل لهم، وقد أُسند إلى المجاورين المغاربة العديد من الوظائف في الحرمين الشريفين، ومنهم من جمع بين وظيفتين أو أكثر من تلك الوظائف، وقد اشتهرت أسر المجاورين المغاربة بتوارث العلم وتولي أفرادها مختلف الوظائف، كأسرة القسطلاني(٢)،

---

(١) ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ، ج١، ص٤١٠؛ الفاسي: العقد الثمين،ج٢، ص٥١؛ النجم عمر بن فهد: محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد(ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ، ج٣، ص٤٤٢.

(٢) تنسب هذه الأسرة التي استوطنت مكة إلى بلاد قسْطِيلِّية أو قَسْطلِّينة من إقليم إفريقية غربي قفصة، وقسطيلية وبلدة توز وقفصة بلاد بإفريقية بالناحية التي تعرف ببلاد الجريد، ويُعرف بعض أفراد أسرة القسطلاني من حُدد بالتوزري، ويرجع نسب هذه الأسرة إلى جدهم الأعلى الحسن بن عبدالله القسطلاني، وتنقسم هذه الأسرة إلى فرعين لأصل واحد، والفرع الأول منها: ينسب إلى أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبدالله بن أحمد بن ميمون بن راشد القيسي القسطلاني، الذي قدم مكة حاجاً سنة =

وأسرة الفاسي [١]، وأسرة ابن فرحون [٢]، وأسرة عبدالقوي البجائي[١]، أما عن هذه الوظائف نذكر منها الآتي:

=

٥٨٣هـ/١١٨٧م، وجاور بمكة سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، وظل بها حتى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، ورحل ثم عاد مرة أخرى من مصر إلى الحج سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، واستوطن مكة حتى توفي بها سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، أما عن الفرع الثاني من هذه الأسرة: ينسب إلى أبى البركات عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبدالله بن أحمد بن ميمون التوزري المتوفي سنة ٦٤٤هـ/١٤٢٦م؛ ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري(ت٧٩٩هـ/١٣٨٨م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ج١، ص٢٣٩؛ ج٢، ص٢٩٢؛ الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٤٨؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٨٧؛ ج٣، ص٦٧، ٦٨؛ ج٥، ص ٣٧١، ٣٧٢؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية، مؤسسة عيسى الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١، ص٣٧٩.

(١) تنسب هذه الأسرة إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى، وأول من نزل مكة واستوطنها سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م. جدهم أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن علي الحسني الإدريسي الفاسي، وقد توفي بمصر ودفن بالقرافة سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م، ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي أبي الكرم محمد الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م): اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ج٢، ص٤٠٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٩٨؛ ٣٦٦، ٣٦٧؛ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد(ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج١١، ص٢١٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٤٥.

(٢) تنسب هذه الأسرة إلى المغرب الإسلامي وتعود أصولها إلى قرية أُيّان من أعمال مدينة جيّان في شرق قرطبة بالأندلس، وقد رحل أفراد هذه الأسرة إلى تونس واستقروا بها، ومؤسس هذه الأسرة أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أبي القاسم محمد بن فرحون بن

=

(أولاً) الوظائف الدينية

كانت الوظائف الدينية والعلمية في الحرمين الشريفين لا يتولاها إلا العلماء ممن برع في العلوم الشرعية والعربية وغيرها(٢)، وقد مارس العلماء المغاربة كثيرًا من الأعمال وتقلدوا مختلف الوظائف الدينية في الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي، ومن هذه المناصب التي تقلدوها الآتي:

=

محمد بن فرحون اليعمري الأُبَّدْي الجياني التونسي المعروف بابن فرحون، ولد في تونس ونشأ بها وقد برع في عدة علوم، وقدم إلى المدينة المنورة واستوطنها قبل سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م، وتزوج بها من إحدى شريفات المدينة المسماة "بصالحة" ورزق منها بأولاد شاركوا في العديد من الأعمال والوظائف، وتوفي أبو عبدالله محمد سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م؛ ابن فرحون: أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي القاسم المالكي (ت٧٦٩هـ/١٣٦٨م): تاريخ المدينة المنورة المسمى(نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت، ص٦٣؛ ٢٦٤، ٢٦٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص٥٦٢- ٥٦٤؛ ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٥٦.

(١) يرجع نسب هذه الأسرة إلى مدينة بجاية احدى مدن المغرب الأوسط، ومؤسسها عبدالقوي بن محمد بن عبدالقوي بن أحمد البجائي المالكي، ولد ببجاية سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٤م، وكان عالماً فقيهاً، قدم إلى مكة لأداء الفريضة وجاور بها ما يزيد عن ثلاثين سنة، واستوطنها وكون أسرة توارثت العلم وسكن بعضهم في أماكن متفرقة في بلاد الحجاز، وكان لهم اسهامات عديدة في الحياة العامة، وامتد تأثيرها على مدى قرنين من الزمن، وتوفي عبدالقوي بمكة سنة ٨١٦هـ/١٤١٢م، ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٦م، ج٧، ص٣٢٨، ٣٢٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٧٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٤، ص٣٠٢؛ النجم عمر بن فهد: اتحاف الورى، ج٤، ص٣٦٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٨٥، ٨٦.

(١) القضاء

كان القضاء في الحرمين الشريفين يتبع نظام القضاء في مصر، وذلك بحكم التبعية السياسية للبلاد، إذ كان يتم تعيين القضاة بمرسوم من السلطان المملوكي بمصر(١)، وفي بعض الأحوال يتم تعيين القاضي من قبل الأمراء الذين يوكل لهم السلطان تولية من يراه أهلاً للقضاء ويكون ذلك بمكة(٢)، وقد اشتهرت الأسر العلمية في بلاد الحرمين الشريفين بالعلم، وكان منصب القضاء مقتصراً على البيوتات العلمية الكبيرة في الحرمين الشريفين، وأحياناً ما كان يخرج عنها لفترات قصيرة، ثم يعود إليها مرة أخرى(٣)، وكانت مهمة القاضي الفصل بين الناس في الخصومات والمنازعات بمختلف أنواعها(٤)، كما أن متولي منصب القضاء ارتبط بوظائف وأعمال إضافية أخرى مكلف بها غير القضاء، وقد

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٧، ص١٢١؛ النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٦٣٩؛ ج٤، ص٢٣٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٣٣٠.

(٢) العز بن فهد: عبدالعزيز بن النجم بن فهد المالكي(ت٩٢٢هـ/١٥١٦م): بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق ودراسة: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، عبدالرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبدالعالي المحلبدي، الطبعة الأولى، الناشر: دار القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م،ج٣، ص١٦٠٣، ١٦٠٤.

(٣) الطبري: علي بن عبدالقادر(ت١٠٧٠هـ/١٦٥٩م): الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، إشراف: سعيد عبدالفتاح، تحقيق وتقديم: أشرف أحمد الجمال، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٨٨؛ طرفة عبدالعزيز العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٥١، ٢٥٢.

(٤) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٣٣؛ محمود محمد عرنوس: تاريخ القضاء في الإسلام، المطبعة الأميرية الأهلية، القاهرة، د.ت، ص١٠.

اشتهر العديد من أبناء الأسر العلمية المغربية الذين تقلدوا منصب القضاء بمكة والمدينة المنورة، كما ناب البعض منهم في القضاء، ومن أشهرهم قضاة أسرة الفاسي بمكة المكرمة ومنهم: القاضي تقي الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفاسي(ت٨٣٢هـ/١٤٣٢م) الذي ولي قضاء المالكية بمكة مستقلاً سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، من قبل الملك الناصر فرج[١] ولقب بقاضي المالكية، ويعد أول قاض مالكي يعين على رأس هذه الوظيفة عند استحداثها[٢] بمكة[٣]، وكذلك كان

(١) هو السلطان الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر برقوق ولد بمصر سنة ٧٩١هـ /١٣٨٨م، وتولى الحكم بعد وفاة أبية سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وظل في الحكم حتى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، وكان سلطاناً مهيباً ثم عزل، وعاد مرة ثانية وظل في الحكم حتى قتل سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ج٥، ص٤٤٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣١؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٦٨.

(٢) عندما قامت الدولة المملوكية سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، كان يتولى منصب القضاء في مكة المكرمة قضاة المذهب الشافعي، مما يدل على رسوخ هذا المذهب لماهو معمول به في مصر، وفي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م، في عهد السلطان ركن الدين بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩- ١٢٧٧م)، عينت الدولة بمصر لكل مذهب من المذاهب الأربعة قاضياً يحكم بمذهبه، وبحكم تبعية الحجاز إلى دولة المماليك، تأثرت هي الأخرى بما حدث في مصر، على الرغم من غالبية أهل الحجاز على المذهب الشافعي، إلا أنه قد حدث استحداث للمذاهب الأخرى الثلاثة، ولكن في فترات متفاوتة، ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م): البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١٧، ص٤٦٠، ٤٦١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٨٦؛ ١٢٠، ١٢١؛ الطبري: الأرج المسكي، ص١٨٩.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٣٣١؛ ٣٣٨؛ ٣٦٣؛ ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد الناصري الحنفي(ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: =

أول قاضٍ للمذهب الحنبلي بمكة القاضي سراج الدين عبداللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الحنبلي(ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م) الذي ولي القضاء بمكة سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، ثم جمع له بين قضاء الحرمين الشريفين، واستمر به حتى وفاته[١]، وقد تولى بعض العلماء المغاربة القضاء كنواب عن قضاة مكة، كالقاضي محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن الفاسي(ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م) الذي تولي نيابة القضاء بمكة بمرسوم من السلطان[٢].

أما عن أشهر قضاة أسرة ابن فرحون بالمدينة المنورة ومنهم: القاضي البدر أبو محمد عبدالله بن محمد بن فرحون(ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م) الذي نزل بالمدينة واستقر بها وكان من الأئمة الأعلام، باشر الأحكام، وناب في القضاء بالمدينة المنورة نحو أربع وعشرين سنة، وكان عليه مدار أمور الناس بها[٣]، وتولى ابنه القاضي المحب أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن فرحون (ت٧٩١هـ/١٣٨٩م) قضاء المالكية بالمدينة المنورة بعد موت أبيه، فظل فيه سنوات كثيرة بعد أن عزل غير مرة[٤]، وكذلك القاضي أبو العباس أحمد بن

=

محمد مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م،ج١، ص٧١٥.

(١) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، دراسة وتحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م،ج٢، ص٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٤، ص٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٨، ٧٦، ٧٧.

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب،ج١، ص٤٥٤- ٤٥٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٢؛ ج٢، ص٥٠٢.

عبدالله بن محمد بن فرحون (ت٧٩٢هـ/١٣٨٠م) الذي كان بمصر ونزل بالمدينة المنورة، وولي القضاء بها بعد أخيه المحب أبي عبدالله، وظل فيه إلى أن مات[١]، وكذلك القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري بن فرحون(ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) الذي تولي القضاء في المدينة المنورة سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م. حتى وفاته، وكان قاضياً عادلا[٢]، وغيرهم ممن استمر من أفراد سليل هذه الأسرة في منصب القضاء [٣].

أما عن أسرة عبدالقوي البجائي فكان منهم: القاضي أبو الخير محمد بن عبدالقوي البجائي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الذي تولى نيابة القضاء في عقود الأنكحة والبيع عن القاضي الكمال أبو البركات القسطلاني[٤] والولي أبو عبد الله[٥] النويري [٦].

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٢١٥، ٢١٦؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٢؛ ج١، ص١١٧.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٥٢، ٥٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٢؛ ج١، ص٨١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص١٢٧.

(٤) هو القاضي الكمال أبو البركات محمد بن محمد بن أحمد بن حسن القسطلاني، تولى قضاء مكة بمرسوم من السلطان سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م، ثم عزل عدة مرات أخرها سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٦م، ثم أعيد واستمر فى منصبه حتى مات، السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٤، ٥.

(٥) هو ولي الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن عبدالعزيز العقيلي النويري المكي، تولى قضاء المذهب المالكي بمكة سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، وكان عفيفاً في منصب القضاء، ثم عزل عنه لشهور قليلة سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م، ثم أعيد مرة أخرى في نفس السنة، واستمر في منصبه حتى توفي سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، المقريزي: السلوك، ج٧، ص٤٢٥؛ النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٢٠٣– ٢٠٦.

(٦) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص١٦٦، ١٦٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ج٨، ص٧١، ٧٢.

(٢) الإفتاء

كان أكثر من يفتي بالحرمين الشريفين هم القضاة الأربعة، وكثير من العلماء كانوا يتحرجون من الإفتاء لوجود القضاة الأربعة، نظراً لأن القضاة على درجة كبيرة من العلم والأحكام الشرعية ومرد الفتيا لهم، وكان المفتون من غير القضاة يفتون غالباً باللسان، أي يفتون من يسألهم ولكن لا تكتب فتواهم فهي فتوى شفهية احتراماً لقضاة مكة[١] وغالباً ما كان الإفتاء يتم في الحرمين الشرفين، وأحياناً في أماكن أخرى في المشاعر المقدسة وغيرها[٢].

وقد اشتهر عدد من العلماء المغاربة بشغل منصب الإفتاء في الحرمين الشريفين ومنهم: أبو علي عمر بن عبدالمحسن الوجهاني الصواف(ت بعد سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م) من أهل بجاية وكان فقيهاً زاهداً، رحل إلى مكة وحج بيت الله الحرام وكان يفتي بمكة[٣]، وكذلك الفقيه أبو عبدالله محمد بن فرحون التونسي الملقب بالشمس(ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م) الذي رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، وكان مفتى المالكية بالمدينة المنورة[٤]، وكذلك أبو محمد عبدالله بن حمود البجائي المالكي(كان حياً في أوائل القرن ٨هـ/١٤م) ولد سنة٦٨٠هـ/١٢٨١م، ورحل إلى مكة، وكان مفتي الحرمين الشريفين[٥]، والشيخ عبدالواحد التونسي المالكي المعروف بابن الكاتب(ت٧٦٠هـ/١٣٥٨م) كان إماماً فاضلاً جاور بمكة

(١) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٥، ص١٨٣.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٢٩، ٥٣٠؛ ج٧، ص٢٩٩، ٣٠٠.

(٣) الغبريني: أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله(ت٧١٤هـ/١٣١٤م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، الطبعة الثانية، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٠٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٥٦٢، ٥٦٣.

(٥) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٩١٢.

فترة طويلة، وكان يفتي في مسكنه برباط[١] الموفق [٢] والمسجد الحرام [٣]، وكذلك موسى بن علي بن عبدالصمد بن محمد بن عبدالله المراكشي(ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م) نزيل مكة، كان عالماً، دَرَّس وأفتى بالحرمين الشريفين[٤]، والشيخ أبو محمد عبدالقوي بن محمد بن عبدالقويبن أحمد بن علي البجائي المغربي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) نزل بمكة وجاور بها أكثر من ثلاثين

(١) الرباط: دارحصينة يقيم بها المسلمون لأسباب حربية ودينية وغيرها، وكانت تقام في الثغور ثم أنشئت داخل المدن، مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٠٥.

(٢) رباط الموفق: يقع هذا الرباط عند باب العمرة بمكة، ورباط الموفق سمي بأسماء ثلاثة: عُرف برباط عثمان بن عفان رضي الله عنه ويبدو أنه سمي بذلك لوقوعه في موقع داره، وقد عُرف بأنه اكتسب اسمه من واقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبدالوهاب الإسكندري(ت٦٢٤هـ/١٢٢٤م) أحد رؤساء ثغر الإسكندرية الذي وقفه سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م. على فقراء المغرب الغرباء المتعبدين ذو الحاجات العاجزين، وعُرف أيضاً برباط المغاربة لأنه يقع في زقاق المغاربة ولكثرة نزلائه من أهل المغرب، وقد اثنى عليه ابن بطوطه أثناء رحلته قائلا وهو من أحسن الرباطات سكنته أيام مجاورتي بمكة المعظمة، الفاسي: العقد الثمين،ج١، ص١٢٢؛ ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٧٩؛ سليمان عبدالغني مالكي: مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٨٢؛ وهذا الرباط غير رباط المغاربة الذي بناه وأوقفه مجموعة من تجار أهل المغرب للمقيمين في مكة من طلبة العلم الرجال دون النساء ليسكنون فيه، وأن يسمح للحجاج المغاربة بالسكن فيه فترة موسم وأداء فريضة الحج، وقد أوقف هذا الرباط بمنطقة السوق الصغير المقابل للحرم الشريف في سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م، سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٨٠.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٢٩، ٥٣٠.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٢٩٩، ٣٠٠.

سنة، وكان عارفاً بالفقه، واشتهر بمكة ودَرّس بالحرم الشريف وأفتى باللفظ قليلاً تورعاً [١]، وكذلك الشيخ أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المعروف بالوانوغي(ت ٨١٩هـ/١٤١٦م) نزيل الحرمين الشريفين وجاور بهما مدة طويلة، وقد اشتغل بالتدريس في علم التفسير أثناء مجاورته بجانب التصنيف والافتاء كثيراً بالحرمين الشريفين[٢]، وكذلك الشيخ أبو عبدالله محمد بن سليمان بن داود بن بشر بن عمران الجزولي المغربي المالكي(ت٨٦٣هـ/١٤٥٨م) الذي نزل بمكة سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م، لأداء فريضة الحج، وجاور بالمدينة المنورة مدة سنة، ثم عاد بعد ذلك إلى مكة وجاور بها، واشتهر بعلم الفقه والعربية والحساب، واشتغل بالتدريس والافتاء بالحرم الشريف وكان فقيها خيراً كريماً وذا مال يعامل فيه[٣].

(٣) الخطابة والإمامة

كان الإمام بالحرمين الشريفين كثيراً ما يجمع بين منصبي الإمامة والخطابة[٤]، وقد تولى عدد من العلماء المجاورين وظيفة الإمامة، وهي إمامة مقام إبراهيم – عليه السلام– وكذلك بعض المقامات[٥] الدينية الخاصة بالمذاهب

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٧، ص٣٢٨، ٣٢٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٧٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٤، ص٣٠٢.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٣٠٨، ٣٠٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٣، ٤.

(٣) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص١٤٤– ١٤٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٤) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص٢٠٧، ٢٠٨؛ عبدالرحمن مديرس المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي(٦٤٩– ٩٢٣هـ/١٢٥٠– ١٥١٧م) دراسة تاريخية، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٥) المقامات: جمع المقام وهو عبارة عن اسطوانتان من حجارة عليها عقد مشرف من أعلاه، =

الفقهية الأربعة التي بالمسجد الحرام آنذاك، وكانت سبباً في مجاورتهم[١]، وقد اقتصر منصب الخطابة خلال العصر المملوكي على بعض البيوتات العلمية الشهيرة بالحرمين الشريفين[٢] مما ترك أثراً واضحاً في الحياة الدينية بالحرمين الشريفين، ومن أشهر العلماء المغاربة الذين تولوا منصب الإمامة والخطابة بالحرمين الشريفين نذكر منهم:

=

وقبة خشبة معترضة فيها خطاطيف للقناديل، والقبة الخشبية زُينت بالأخشاب المزخرفة، والمقامات يصلي بها الأمة الأربعة فكان مقام الإمام الشافعي خلف مقام إبراهيم عليه السلام في الجهة الشرقية من الحرم، ومقام الإمام المالكي بين الركنين الغربي واليماني في الجهة الغربية من الحرم، ومقام الإمام الحنبلي مقابل الحجر الأسود في الجهة الجنوبية الشرقية من الحرم، ومقام الإمام الحنفي في الجهة الشمالية من الحرم، ويصلي خلف كل منهم أتباع مذهبه، الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص١٦؛ ٣١٣؛ ٣٢٣، ٣٢٣، ٣٢٥؛ ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٧٤، ٣٩٧؛ البلوي: أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد(كان حياً سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، صندوق احياء التراث الإسلامي المشترك بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دون تاريخ، ج١، ص٣٠٦؛ الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٨٩.

(١) الطبري: الأرج المسكي، ص١٨٤؛ عبدالعزيز بن راشد السنيدي: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠- ٦٦٠هـ/١١٧٤- ١٢٦١م)، بحث منشور ضمن الأبحاث المقدمة إلىندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ. المنعقدة في رحاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة، خلال الفترة من ١٣- ١٤٢٦/٨/١٥هـ الموافق ١٧- ٢٠٠٥/٩/١٩م، المحور الثالث، ص٣٣.

(٢) الطبري: الأرج المسكي، ص١٨٦.

الإمام ضياء الدين محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن التَوزَرِي المالكي القسطلاني (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م) الذي قدم مكة، وورث الإمامة عن والده[١] بالحرم الشريف[٢]، وكذلك شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر التوزري المالكي القسطلاني(ت٦٧١هـ/١٢٧٢م) الذي ولي الإمامة بعد أبيه بالحرم الشريف[٣]، وكذلك البهاء عبدالرحمن بن محمد بن عمر التوزري المالكي القسطلاني(ت٧١٢هـ/١٣٢١م) الذي تولى الإمامة بالحرم الشريف بعد أخيه شهاب الدين أحمد سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م.[٤]، وخليل بن عبدالرحمن بن محمد القسطلاني المالكي (ت٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) كان إمام المالكية بالحرم الشريف[٥]، وكذلك عمر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الضياء محمد بن عمر المالكي القسطلاني(ت٧٦٥هـ/١٣٦٣م) الذي تولى إمام مقام المالكية بالمسجد الحرام[٦]، وكذلك يحيى بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيني المغربي المالكي المقرئ النحوي(ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م) الذي اشتغل بالقراءات وتعليم اللغة العربية، وقد أمَّ بمقام المالكية نيابة بمكة[٧]، وعبداللطيف بن أبو المكارم أحمد بن محمد بن

(١) هو أبو البركات عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن ميمون التوزري القسطلاني، كان إمام مقام المالكية بالحرم الشريف، وقد توفى بمكة سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٣٥٨.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص١٥٨، ١٥٩.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٠٥، ٤٠٦.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٣٢٤، ٣٢٥.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٣١٠.

(٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٦، ص١٧٧؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج٢، ص٢٠٣.

محمد بن عبدالرحمن الحسني الفاسي المالكي الملقب بالسراج (ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م) كان إمام الحنابلة بالمسجد الحرام سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م، واستمر فيها حتى مات[١]، وكذلك الشيخ عبدالقادر بن عبداللطيف بن أبي الفتح محمد بن أحمد الفاسي(ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م) الذي تولى إمام الحنابلة بالمسجد الحرام عوضاً عن والده، كما ولي بعد ذلك قضاء الحنابلة بمكة[٢]، وكذلك أبو المكارم بن الشيخ كمال الدين بن عبدالقوي المالكي البجائي، الذي ألقى أول خطبة له سنة ٩١٢هـ/١٥١١م، في مسجد بالقرب من الصفا بمنطقة سوق الليل[٣]، وذلك بحضور القضاة الأربعة، وعدد من العلماء وأعيان مكة وعامة الناس[٤].

ويبدو أن قلة تولي منصب الإمامة والخطابة للعلماء للمغاربة في الحرم النبوي الشريف، يرجع إلى أن هذه الوظيفة كانت متمثلة في يد البيوتات العلمية الشهيرة بالمدينة المنورة [٥]، بجانب معارضة أهل المدينة لتعدد الأئمة بالمسجد النبوي، على الرغم من تنوع المذاهب في الحرم المكي إلا أنه لم يسمح بتعدد الأئمة الأربعة، وظلت الإمامة متمثلة في أئمة المذهب الشافعي بالمدينة إلى

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٨٧.

(٢) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٨٦٧– ٨٦٩؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٤، ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٣) سوق الليل: هو حي بني هاشم أو شعب الهواشم يقع شرقي مكة منحرفاً إلى الجهة الجنوبية عند سفح جبل أبي قبيس، ويعود سبب تسميته بهذا الاسم إلى أن المشركين حينما حاصروا النبي صلى الله عليه وسلم مع عشيرته في شعبهم، كانوا يبتاعون ما يلزمهم ليلاً من ذلك المكان فسمي سوق الليل، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٥٦.

(٤) العز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٥١٩.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٧١٥؛ الطبري: الأرج المسكي، ص١٨٤– ١٨٦.

صدرت المراسيم السلطانية في سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م، بإحداث محراب للأئمة الحنفية إلى جانب محراب أئمة الشافعية[١]، وعلى الرغم من قلة تولي العلماء المغاربة المالكية وظيفة الإمامة والخطابة بالحرم النبوي إلا أن هناك البعض منهم قد تولي الإمامة والخطابة نيابة، كالشيخ يحيى التونسي(ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) الذي نزل بمكة وجاور بها مدة طويلة، ثم توجه إلى المدينة المنورة وناب في الإمامة والخطابة بها[٢]، وكذلك القاضي البدر أبو محمد عبدالله بن محمد بن فرحون المالكي (ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م) نزيل المدينة والذي أمَّ في المحراب النبوي الشريف في بعض الصلوات، وقد دُعي أن يقوم بنيابة الإمامة والخطابة، فامتنع نظراً للمقام النبوي الشريف[٣].

(٤) الحسبة

تعد الحسبة من النظم الإسلامية المهمة، فهي نظام رقابي على المجتمع في سير الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية[٤]، وكانت مهام المحتسب متعددة ومنها الرقابة على الأسواق، وتفقد صاحبها أحوال النشاط التجاري من الإشراف على الأسواق والمكاييل والموازين ومراقبة السلع وأسعارها ومنع الاحتكار، ومراقبة أصحاب الحرف على اختلافهم[٥].

(١) عبدالرحمن المديرس: المدينة المنورة ، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٥٩.

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب،ج١، ص٤٥٤– ٤٥٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٢.

(٤) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الطبعة الأولى، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٣١٥.

(٥) ابن عبدون التجيبي:محمد بن أحمد بن عبدون الإشبيلي(ت قبل ق ٦هـ/١٢م): ثلاث =

وكان المحتسب بالحرمين الشريفين يُنيب عنه من يقوم بعمله خاصة إذا كان المحتسب يتقلد مناصب أخرى، وكان اختيار النائب يتم من قبل القاضي نفسه حيث يستنيب من يراه أهلا للحكم ومكانته العلمية[١]، وقد تولى بعض المغاربة نيابة الحسبة بمكة، كالشيخ أحمد بن عبدالقوي بن محمد بن عبدالقوي البجائي(ت٨٦١هـ/١٤٥٨م) وكان ذلك نيابة عن أحد القضاة بمكة[٢].

(٥) الأذان

تعد وظيفة المؤذن من الوظائف الدينية، فهو الذي ينادي بالأذان داعياً المسلمين للصلاة، ويستحب توافر شروط في المؤذن منها: معرفة الأذان وطرقه، وإبلاغ الصوت، وأن يكون حسن الصوت[٣]، وكان المسجد الحرام في العصر المملوكي له ست مآذن[٤]، ولكل مئذنة من مآذن المسجد الحرام مؤذن يؤذن عليها وكان لهؤلاء المؤذنين رئيس، ومهمته البدء بالأذان قبل غيره[٥]، وكان

=

رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، نصوص وترجمات المجلد الثاني، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٢٢؛ السبكي: تاج الدين عبدالوهاب بن على بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م): معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: أبوزيد شلبي وآخرون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٦٥.

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٨٤؛ ٣٠٦؛ ج٣، ص٢٥٦.

(٢) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٤٦٤، ٤٦٥.

(٣) السبكي: معيد النعم، ص١١٥؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ج٣، ص١١٦٣، ١١٦٤.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٨٨؛ الطبري: الأرج المسكي، ص١٨٧.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٤٣؛ ٨١؛ ج٤، ص١٩٤؛ ٤٩١؛ ج٥، ص٤٠٧؛ ٤٤٤؛ الطبري: الأرج المسكي،ص١٨٧.

رئيس المؤذنين يؤذن من على سطح ظُلة زمزم[١]، وقد كان قديماً يؤذن من مئذنة باب العمرة[٢]، وذكر ابن بطوطة أن رئيس المؤذنين يؤذن من على سطح قبة زمزم [٣][٤]، ثم صار في زمن الفاسي يؤذن من مئذنة باب السلام[٥]، ثم عاد الآذان مرة أخرى من قبة زمزم[٦]، بجانب ذلك كان لهؤلاء المؤذنين مرتبات

(١) بُنيت ظُلة زمزم على يد أمير مكة عبدالله بن محمد بن عمران الطلحي وذلك في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد(١٧٠– ١٩٣هـ/٧٨٦– ٨٠٩م)، الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن الأزرق المكي(ت نحو سنة٢٥٠هـ/٨٦٥م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق: رشدي صالح مَلْحَس، دار الأندلس، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، ج٢، ص٩٩؛ وهدمت ظلة المؤذنين سنة ٨٢٢هـ/١٤٠٩م، الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٩٠.

(٢) الطبري: الأرج المسكي، ص٨٧؛ ١٨٧.

(٣) قبة زمزم: عبارة عن بيت مربع وفي جدرانه شبابيك مواجهة للكعبة والأبواب، وفوق القبة بيت آخر مقام على أعمدة لشيخ زمزم أي رئيس المؤذنين ليؤذن ويتبعه سائر المؤذنين في جميع الأوقات، وقد تم هدمها في توسعة المسجد الحرام سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٢، ص٥٣٥؛ ٥٣٩؛ محمد أمين، ليلي إبراهيم: المصطلحات المعمارية،ص٨٨.

(٤) ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٩٩.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣١٨، ٣١٩؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٧؛ وباب السلام: هو أحد أبواب الجدار الشرقي للمسجد الحرام، وكان قديما يعرف بباب بني شيبة، وعُرف في ق٩هـ/١٥م. بباب السلام، طه عبدالقادر عمارة: تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني،، نشر مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٢٠م، ص٧٦– ٨٠.

(٦) الطبري: الأرج المسكي، ص٨٧؛ ١٨٧.

تصرف لهم[١]، وقد تولى بعض المغاربة هذه الوظيفة نيابة، وكان هذا النائب يجمع بينها وبين وظائف أخرى، وممن قام بوظيفة المكبر نيابة عن رئاسة الأذان وعن المؤذنين بالمسجد الحرام، الشيخ أبو الربيع سليمان بن أبي السعود بن عمر بن علي الريغي المغربي(ت٨٥٩هـ/١٤٥٤م) كان مؤذناً بالمسجد الحرام، وولي نصف الأذان بمئذنة باب العمرة[٢]، وكان ينوب عن الرئيس في الأذان على زمزم والتكبير، وكان له معرفة بالمواقيت[٣]، والشيخ محمد بن بن محمد بن أحمد بن عيسى بن عكاش المغربي المعروف بهُبَيْهِبْ(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) كان شيخ المقرئين بالمحافل في المسجد الحرام والمعلاة[٤] وغيرهما، وكان فراشاً بالمسجد

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٢٠.

(٢) مئذنة باب العُمرة: شيدها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(١٣٦– ١٥٨هـ/٧٥٤–٧٧٥م) في سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٩٧؛ وباب العمرة: هو أحد أبواب الجدار الغربي للمسجد الحرام، وقد عُرف هذا الباب عندما أمر بعمارته الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في ق٢هـ/٨م. بباب بني سهم، واسم باب العمرة كان يطلق على باب مكة المكرمة الغربي الذي كان يعرف في ق٦هـ/١١م. بباب الزاهر، ثم عرف في ق٨هـ/١٤م. بباب الشبيكة، وعرف أيضاً بباب جدة بالإضافة إلى اسمه باب العمرة، واستمر هذا الباب حتى العصر العثماني وهدم في التوسعة السعودية للمسجد الحرام، طه عمارة: تاريخ عمارة، ص٩٩.

(٣) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٧٥٦، ٧٥٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٦٤.

(٤) المعلاة: هو القسم العلوي من مكة المكرمة، ويطلق اليوم على حي وسوق بين الحجون والمسجد الحرام، وغالبا ما يطلق على مقبرة مكة التي صارت تعرف بالمعلاة لوقوعها في هذا الحي، عاتق بن غيث البَلاَدي: معجم معالم الحجاز(١– ١٠)، الطبعة الثانية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٦٢٤.

الحرام ويؤذن على باب العمرة ويكبر في المغرب في شهر رمضان على زمزم نيابة عن شيخ الحجبة[١]، وكذلك أبو السعود بن سليمان المغربي المؤذن (كان حياً في ق٩هـ/١٥م) كان يؤذن بباب العمرة [٢].

(ثانياً) الوظائف الإدارية والخدمية

تعددت الوظائف الادارية والخدمية التي باشرها المغاربة في داخل الحرمين الشريفين أو خارجه خلال العصر المملوكي، وتمثلت طبيعة الأعمال التي مارسها رجال الخدمة من المغاربة في ميادين ومجالات متنوعة اشتغلوا فيها، والتي لا تتطلب خبرة مهنية، وقد ألحقت بها إسهامات المغاربة في الأوقاف والصدقات والعمارة على المنشآت الخدمية والمرافق العامة، تقربا إلى الله – تعالى– ولتلبية احتياجات الناس من أمور المعيشة، ومن هذه الوظائف الآتي:

(١) نظارة الحرم

كان ناظر[٣] الحرم في مكة المكرمة يسمى بشيخ الحرم[٤]، ولم تكن تسمية مشيخة الحرم في العصر المملوكي فقط، بل ذكرت قديماً بما يدل على أن هذا المنصب قد استحدث مسبقاً للقيام بأعمال ومصالح المسجد الحرام من عمارة

(١) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٥١٨؛ الدر الكمين،ج١، ص١٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٢٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص١١٣.

(٣) الناظر: مأخوذ من الفعل نظر أي نظر العين، والنظر التأمل والتفكر في الأمر والشئ، والناظر: هو الحافظ، وناظر الشئ حافظه، وهي وظيفة يقوم صاحبها بالنظر في الأمور التي تتعلق بالأموال من إنفاق وجمع، ويُرفع إليه حسابها لينظر فيه، ومنها ما يعتمده ومنها ما يرده، والنظار كثيرون منها ناظر الحرم وناظر الوقف وناظر الرباط وغير ذلك، ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٢١٥؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٣، ص١١٧٧؛ ١١٧٩؛ مصطفي الخطيب: معجم المصطلحات، ص٤٩.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٩.

واصلاحات وتجديدات[١]، وكان يتولى منصب نظارة المسجد الحرام علماء اشتهروا بالعلم، أو من غير علماء الدين والفقهاء والقضاة، ومن العلماء المغاربة الذين تولوا هذا المنصب بجانب عملهم في القضاء، القاضي تقي الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفاسي(ت٨٣٢هـ/١٤٣٢م) الذي ولي مشيخة الحرم وقضاء المالكية[٢].

(٢) ناظر الوقف

تعد وظيفة ناظر الوقف من الوظائف الإدارية، ومهمته النظر في أموال الوقف، والقيام بمصالحه، والإشراف على الأراضي والمنشآت وغيرها التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ومنها ما هو خالص لوجه الله – تعالى–[٣]، ومن المغاربة الذين باشروا نظارة الأوقاف بالحرمين الشريفين، الشيخ حسن بن أبي عبدالله محمد بن حسين بن الزين محمد القسطلاني(ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) الذي تولى مباشرة الحرم المكي، وكذلك نظر أوقاف الحرمين الشريفين بالإسكندرية، كما تولى الأوقاف الحكمية [٤] بالقاهرة [٥]، وكذلك الشيخ محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٥٨؛ ٤٠٦، ٤٠٧؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص٦٣٥.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٣٣١– ٣٦٣.

(٣) القلقشندي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد(ت٨٢٠هـ/١٤١٧م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م،ج٤، ص٣٨؛ ٥١؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٧٠، ٧١.

(٤) الأوقاف الحكمية: هي الأوقاف الخيرية على الحرمين الشريفين وجهات البر، وكانت تحت إشراف قاضي القضاه الشافعي، وقد عرفت باسم الأوقاف الحكمية ثم الأوقاف الأهلية والتي امتزج فيها الوقف الخيري بالوقف الأهلي، محمد أمين: الأوقاف، ص١٠٨؛ ١١٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص ١٢٤.

الشمس النشيلي المغربي(ت٨٨٩هـ/١٤٤٨م) الذي نزل بمكة وحج أكثر من مرة، وتردد إلى مصر أحياناً، واستقر بعدها بمكة وجاور بها، وقد تولى مهمة الإشراف على العمائر السلطانية بمكة، وكذلك مباشرة ونظر أوقاف المدارس وغيرها[١].

(٣) ناظر ومشيخة الرباط

كانت الأربطة تؤدي دوراً مهماً في الحياة العلمية والاجتماعية، وهناك من المغاربة المجاورين بالحرمين الشريفين قد بلغوا درجات العلم الزهد والتواضع والأمانة والإحسان إلى الطلبة، ولهذا اسندت إليهم مشيخة الأربطة، ومن أشهر الشيوخ المغاربة الذين تولوا هذه الوظيفة: الشيخ أبو عبدالله محمد بن موسى بن عائذ الغُماري الوانوغي المغربي(ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م) الذي نزل بمكة سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وجاور بالمدينة المنورة عدة أشهر، وتولي مشيخة رباط الموفق بمكة، والنظر بمصالحه لسنوات كثيرة، وقد عرف بكثرة العبادة والزهد والتواضع قاضياً لحوائج الناس، وكان يحمل إليه من بلده المغرب الإسلامي وغيره من البلاد الخير الكثير، ويقوم بتوزيع الصدقات على أقربائه والضعفاء والمساكين وغيرهم [٢]، وكذلك الشيخ محمد بن سعيد بن محمد بن موسى بن الزموري المغربي(ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م) الذي قدم إلى مكة سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، وجاور بها وتولى مشيخة رباط الموفق سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م، وقد وصف بجده وصدقه فكان لا يحب الهزل ولا الكذب، وظل بالرباط حتى توفي[٣]، وكذلك الشيخ علي بن محمد بن أحمد بن حسن القسطلاني(ت٨٦٦هـ/١٤٦١م) الذي ولي نظر رباط

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٧٥، ٣٧٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص ٥٥.

(٣) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٣٦٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٥٢.

السدرة [١] ورباط كلالة [٢] والإشراف على ميضأة بركة[٣] سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، وعمرهم وأنفق عليهم من ماله من أرض اشتراها وعمرها داراً وأوقفها على مصالح

(١) رباط السدرة: يقع هذا الرباط بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد من باب السلام، كان في الأساس دار القوارير التي شيدها حماد البربري للخليفة هارون الرشيد(١٧٠– ١٩٣هـ/٧٨٦– ٨٠٩م)، وقد أوقف هذا الرباط سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م من قبل هاجر خالة الأمير المقتدر بالله أبو الفضل جعفر(٢٨٢– ٣٢٠هـ/٨٩٥– ٩٣٢م) وقيل أنه كان موقوفاً منذ سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م، الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٧٥؛ ص٢١٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٨؛ شفاء الغرام، ج١، ص٣٣٩؛ ج١، ص٥٢٧.

(٢) رباط كلالة: أوقفه الشيخ أبو القاسم بن كلالة الطيبي سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، والمعروف باسمه في المسعى قرب رباط العباس بمكة، وقد أوقفه على الفقراء دون تحديد، وبداخل الرباط كانت هناك بئر للقائمين به، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٣٤؛ الطبري: الأرج المسكي، ٧٨.

(٣) ميضأة بركة: هي مطهرة للأغتسال بالماء من النجاسة والتبريد أيام الحر وهذه المطهرة تنسب للأمير زين الدين بركة بن عبدالله العثماني رأس نوبة النوب بالقاهرة، ومتولي أمور الملك الظاهر صاحب مصر، الذي أمر الأمير زين الدين أحد أمرائه وهو الأمير سودون باشا بإنشاء وعمارة المطهرة في مكة المكرمة سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م، عندما أرسله لعمارة أجزاء من الكعبة المشرفة وبناء مطهرة له، وقام الأمير سودون بعمارة مطهرة بسوق العطارين عند باب بني شيبة أي باب السلام بمكة وبنى عليها مساكن وحوانيت، وذلك لتوفير دخل ثابت لمصالح المطهرة، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٥٤؛ المقريزي: السلوك، ج٥، ص٦٦؛ النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٣٤؛ محمد محمد أمين، ليلي علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨– ٩٢٣هـ)(١٢٥٠– ١٥١٧م)، الطبعة الولى، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، مصر، ١٩٩٠م، ص٧٧.

رباط كلاله وغيره، كما تولى أيضاً علي القسطلاني نظر الجشيشه[١] المفروضة بمكة للفقراء[٢]، وكذلك تولى مشيخة رباط الموفق الشيخ محمد العربي المغربي(ت٨٧٨هـ/١٤٧٣م)[٣]، وكذلك عبدالقادر بن عبداللطيف بن محمد بن أحمد الفاسي (ت٨٩٧هـ/١٤١٩م) الذي تولى نظر رباط العباس[٤] بعد والده[٥].

(٤) مُبَاشَرة المسجد الحرام

تعد مباشرة المسجد الحرام من الوظائف الإدارية والخدمية، ومتوليها مكلف بإدارة العمل والإشراف على الحرم من عمارة وترميم واصلاح وإجراء المبيعات

(١) الجَشِيشه: هي من جَشَّ الحَبَّ يَجُشُّهُ جَشّاً أي دقه وطحنه غليظاً جريشاً، أي هو الحب حين يدق دقاً خفيفاً قبل أن يطبخ، فإذا طبخ فهو جَشيشه، ويطلق عليها أيضا الدشيشه، وهي حساء بهريسة القمح واللحم، وكان يرسل من بين الجريات إلى أهل الحرمين الشريفين ليطعم به الفقراء والمستحقون خلال عصر المماليك، ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٧٣، ٣٧٤؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٧٥؛ مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات، ص١٨٢.

(٢) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص١٠٥٢- ١٠٥٥.

(٣) النجم عمر بن فهد: اتحاف الورى، ج٤، ص٥٧٢؛ السخاوي : الضوء اللامع، ج١٠، ص١٢٣.

(٤) رباط العباس: يقع بجهة المسعى بمكة، وقد أنشأه الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري(٦٩٦- ٦٩٨هـ/١٢٩٦- ١٢٩٩م) كمطهره، ثم جعله رباطاً الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي ولي سلطنة مصر والشام في الفترة الأولى سنة ٦٩٣- ٦٩٤هـ/١٢٩٣- ١٢٩٤م، وهو صبي وخلع منها لحداثة سنه، فأرسل إلى الكرك وأعُيد إلى السلطنة بمصر في الفترة الثانية سنة ٦٩٨- ٧٠٨هـ/١٢٩٩- ١٣٠٩م، ودانت له البلاد، الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٤٤؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٣٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤١؛ ٥٥؛ ١١٥؛ ٢٢٩.

(٥) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩.

والمشتروات المتعلقة به، واستخدام عماله، وكان يطلق عموماً على الموظفين العاملين بالدواوين مسمى مباشرين[١]، ومن المغاربة الذين تولوا مباشرة الحرم الشريف، الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد الحَسني الفاسي(ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) الذي تولى مباشرة الحرم قبل سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م.[٢]، وكذلك القاضي أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحسني الفاسي(ت٨١٩هـ/١٤١٦م) تولي مباشرة الحرم بعد أبيه سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، مع نيابة قضاء المالكية بمكة [٣].

(٥) وظيفة خدمة درج الكعبة الشريفة

تعد وظيفة خدمة درج الكعبة الشريفة من الوظائف الإدارية الخدمية، وهي وظيفة قائمة بباب الكعبة المرتفع عن الأرض، وقد اقتضى الرُّقّي إليه بوجود سُلم مخصص ومناسب، ومهمة خدام الدرج هو دفع كرسي الدرج من مكانه في المسجد الحرام الذي يتوصل من عليه إلى فتح باب الكعبة الشريفة حيث يفتح ثم يعاد إلى موضعه بعد غلق الباب، ومهمتهم أيضاً تنظيف السلم، أما عن رواتبهم فقد عينت وثيقة وقف الأشرف شعبان[٤]، ثلاثمائة درهم نقرة[١] في كل سنة[٢]،

(١) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٣، ص٩٨٢؛ راشد سعد راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٠٢.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣٥، ٣٦.

(٤) هو الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان المنصور قلاوون، ولد بالقاهرة سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، وتولى الحكم سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٤م، وقد قام بالعديد من الأعمال المعمارية والإنشائية خاصة في الحرمين الشريفين، وقد مات مقتولاً سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٠، ٢١.

ومن المغاربة الذين تولوا هذه الوظيفة، محمد بن أبي بكر بن يَعَزّا بن محمد بن أبي بكر الجابري التادلي المغربي(ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م) كان أحد خدام الدرجة وكبرائهم[٣].

(٦) الفِراشة

تعد الفراشة [٤] من الوظائف الإدارية الخدمية، وقد كان للمسجد الحرام عدد من الفراشين، ومهمتهم تنظيف المسجد الحرام، والقيام بأمر الفرش، بجانب ذلك اسناد بعض المهام الأخرى إليهم، كتوصيل الشمع وتعبئة الزيت، وغسل الكعبة المشرفة، ورفع الآذان أو التكبير بأحد المقامات وغيرها[٥]،أما عن رواتبهم فقد عينت وثيقة وقف الأشرف شعبان، ثمانية من الفراشين يتناوبون على خدمة

=

(١) الدرهم النقرة: هو المعروف بالدرهم الكاملي المنسوب إلى السلطان الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب مصر، ويتكون من ثلثي فضة وثلث نحاس، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٣؛ ج٤، ص٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص١٠٣.

(٣) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٩٧، ٩٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٠٣.

(٤) الفراشة: أو الفرّاش وهو القائم بخدمة الفرش وما يتعلق به، من العمل والمحافظة على خدمة النظافة والصيانة ورعاية الأثاث في جميع الأمكنة، حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص٨٠٥.

(٥) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٨٨، ٥٨٩؛ ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٤٠٢؛ ٤١٠؛ أحمد هاشم أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م) دراسة تاريخية – حضارية- وثائقية من واقع دور أرشيف القاهرة، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٢٣٥.

ونظافة الحرم الشريف، وقد حدد لهم مبلغ ألف وسبعمائة درهم نقرة توزع بينهم بالسوية، أي أن راتب الفراش الواحد منهم كان ثلاثمائة درهم سنوياً، بواقع خمسة وعشرين درهما شهرياً[١]، وممن اشتغل بهذه الوظيفة من المجاورين المغاربة: محمد بن محمد بن ثابت الأنصاري المراكشي(ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) كان فراشاً بالمسجد الحرام[٢]، وقد جمع بين الفراشة والأذان الشيخ سليمان بن أبي السعود بن عمر بن علي الريغي المغربي(ت٨٥٩هـ/١٤٥٤م) الذي كان مؤذنا بالمسجد الحرام، والفرّاش به [٣].

(٧) السقاية

تعد السقاية[٤] المرتبطة بالمسجد الحرام وخدمة زواره من الوظائف الإدارية الخدمية ومهمتهم: سقي الناس في المسجد الحرام وأثناء الطواف وتزويدهم بالماء اللازم للشرب سواء من السقايات الموجودة في الحرمين الشريفين أو من خارجه[٥]، ومن المجاورين المغاربة الذين عملوا في سقي الماء بمكة، الشيخ

(١) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص١٠٣.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٨٦.

(٣) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٧٥٦، ٧٥٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٦٤.

(٤) السقاية: مأخوذة من الفعل سقى، وسقاه وأسقاه جعل له ماءً أو سقيا والسقي الحظ من الشرب، والسقاية الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم، ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٣٩٠، ٣٩١.

(٥) ابن النجار: محمد بن محمود بن الحسن(ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، الدرر الثمينة في أخبار المدينة، دراسة وتحقيق: صلاح الدين بن عباس شكر، الطبعة الأولى، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٦٤– ١٨٣، ويذكر الفاسي أن جملة الآبار التي يحتوي عليها سور مكة ثمانية وخمسون بئراً، بجانب ذكره العديد من العيون، للمزيد ينظر: الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٤٢– ٤٥٣.

عبدالله بن منصور الوجدي التلمساني المغربي(ت٨٥٥هـ/١٤٥٠م) السَقا بالحرم المكي ومجاوراً به [١]، وكذلك أحمد [٢] بن عبدالعزيز الشهاب الهلالي المغربي السقا، كان من المجاورين القدامى بالمدينة المنورة، ومن ذوي العقل والرأي، وأول ما دخل المدينة المنورة كان يقوم بسقي الماء من العين، وكان لا يأخذ أجرًا على عمله[٣].

(٨) البوابة

تعد وظيفة البواب من الأعمال الخدمية المتمثلة في خدمة وحراسة أبواب الحرمين الشريفين والربط وغيره، وعلى الرغم من قلة المعلومات المتوفرة في المصادر المتاحة بين أيدينا في عمل المغاربة في وظيفة البوابة بالحرمين الشريفين، إلا أن هناك بعض الإشارات المصدرية التي تشير إلى عمل البعض منهم بواب في أحد الأربطة المجاورة بالمسجد النبوي الشريف، وكان للرباط بواب يتعهد بابه بالفتح والغلق، فقد ذكر السخاوي، أن أحمد المغربي (ت٨٨٦هـ/١٤٨١م) كان يعمل بواب برباط السبيل[٤][٥].

(١) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٩٣٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٧١.

(٢) لم أقف على تاريخ وفاته، ويبدو أنه كان حياً في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، أي قبل وفاة ابنه علم الدين أبو الربيع سليمان بن أحمد بن عبدالعزيز الهلالي المغربي المدني المعروف بابن السقا المتوفى سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص١٦٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص١٦٣.

(٤) رباط السبيل: يقع هذا الرباط بالمدينة المنورة، عبدالرحمن المديرس: المدينة المنورة ، ص١٤٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص١٦٤.

(٩) العمارة

ترتبط العمارة بوظيفة شاد العمائر[١] وناظر الوقف المسئول عن العمارة وإنشاء المنشآت ببلاد الحرمين الشريفين[٢]، وقد ساهم بعض المغاربة في التطور العمراني من خلال بعض الاصلاحات والتجديدات والأزمات الاقتصادية بالحرمين الشريفين، كحفر الآبار وعمارة بعض العيون وإنشاء وتعمير الأسبلة بمكة، نظراً لما يعرف عن مكة أنها أرض جدباء قليلة الأمطار، وما فعلوه في ذلك كان له دور مهم في التخفيف على أهالِي الحرمين الشريفين من شدة العطش وغيره، من تزويد الناس بمياه الشرب وعمل أحواض بجانب الأسبلة لسقي الحيوانات وذلك تقربا منهم إلى الله – تعالى – ومن أمثلة ذلك ما قام به العلماء المغاربة الذين عملوا بالوظائف الادارية، أو ممن قاموا بإصلاحات اقتصادية كان لها الأثر البالغ في بلاد الحرمين الشريفين ومن هؤلاء نذكر منهم:

الشيخ يوسف بن محمد بن محمد بن محمد بن عِمران الطنجي (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م) المؤدب بالحرم الشريف، وكان فقيهاً صالحاً عابداً كريماً محسناً للفقراء، وكان شيخ الفقراء برباط ربيع[٣]، وقد عمل فيه صهريجاً من ماله،

---

(١) شاد العمائر: الشاد اسم فاعل من شدّ بمعني قوّي أو أوثق، وقد شاع استخدام هذا اللفظ في دولة المماليك للدلالة على موظف كان له حق التقوية على كل السلطات من مراقبة وإشراف وتفتيش وتعمير وغيره، ومهامه أيضاً تنفيذ ما يأمر به السلطان فيما يتم إحداثه بعمارته أو تجديده بمكة، ويراعى أن يكون عارفاً بالهندسة والبناء والعفة والأمانة، السخاوي : الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٣؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص٦٠٤؛ ٦١٧.

(٢) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٣٣.

(٣) رباط ربيع: يقع هذا الرباط بأجياد بمكة، وقد أوقفه سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م أبو الفضل ربيع بن عبدالله بن محمود المارديني المتوفي سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، وذلك عن موكله الملك الأفضل أبو الحسن نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي الأيوبي، صاحب دمشق المتوفي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، واشترط في وقفيته أن يكون وقفاً =

وبّيَّض الرباط، وعمر فيه أماكن عديدة [١]، وكذلك الشيخ علم الدين أبو الربيع سليمان بن أحمد بن عبدالعزيز الهلالي المغربي المدني المعروف بابن السقا (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) الذي سافر في طلب العلم، وجاور في المدينة المنورة، وكان يباشر الصدقات بالمدينة فحمدت سيرته، وقد تولى فترة نظر الربط والأوقاف من النخيل وغيرها، وكان حسن السيرة والعفة والنزاهة والنصح، وقام بتجديد العديد من الربط الكثيرة كانت قد أشرفت على الخراب[٢]، وشهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد البوني المغربي(ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م) الذي كان مقلاً في أول أمره مع والده، ثم دخل الدولة وتخدم لهم إلى أن تمكن من أمراء مكة وتأثّل[٣] وحصل دوراً وكثرت أمواله، وكانت له مزارع كثيرة في أماكن عديدة، ومنها نخيل بوادي مَرّ[٤]، وأوقف بعضها، وقام بتجديد وعمارة سبيل[١] عند

=

على الفقراء المسلمين الغرباء، ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد إبراهيم الإربلي(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ج٣، ص٤١٩- ٤٢١؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٣٥؛ النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٦٤.

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٩٥.

(٢) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص١٦٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) تأثّل: ادّخر مالاً ليستثمره، الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٤٨.

(٤) وادي مَرّ: يقال له مَرّ الظهران، ووادي الهَدَةَ، ويعد هذا الوادي من أودية الحجاز في الشمال عن مكة عند تجمع وادي نخلة فيصيران وادياً واحداً، ويقع أيضا على طريق حجاج مصر والشام، وهو واد خصيب كثير النخل والزرع وبه عيون تسقى تلك الناحية وتجلب فاكهته إلى مكة، ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني

=

مسجد الراية[٢] يدعى سبيل قاسم[٣] بعد أن ظل مدة خرباً، كما قام بتجديد سبيل آخر في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م، وأنشأ في سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، البئر المعروفة بالسلمية بالأبطح بعد أن انهارت قبل ذلك بسنتين وآيس منها، وقد أوصى أحمد المغربي بعد مماته بتشييد سبيل أمام بيته، ويسمى سبيل أحمد المغربي الواقع بخط الردم[٤] بمكة[١]، وتعد الأسبلة والمياه بصفة عامة من أهم الضروريات والخدمات المقدمة للحجيج وطلاب العلم وأهل البلاد وغيرهم.

=

الأندلسي(ت٦١٤هـ/١٢١٧م):رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص١٦١؛ ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٦٧؛ جار الله بن فهد: حسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٠.

(١) السبيل: منشأة مائية اقيمت لتوفير مياه الشرب للناس، وانتشرت الأسبلة عند المسلمين في معظم بلاد الشرق والمغرب ولا سيما في المناطق قليلة الماء، محمد أمين، ليلي إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص٦٢.

(٢) مسجد الراية: هو المسجد الواقع بأعلى مكة عند السد أول الردم، وعند بئر جبير بن مُطعِم بالمعلاة، وقد بناه عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، وسمي بمسجد الراية لأن النبي صلى الله عليه وسلم ركز الراية في موضعه يوم فتح مكة وصلى فيه، ومازال معمراً، الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٢٠٠؛ محمد الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ص٧٧.

(٣) هو سبيل قاسم الزنكي الذي يقع عند مسجد الراية بأعلى مكة، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٣٨.

(٤) الرَدْم: يقع بالمعلاة ويطلق عليه ردم بني جُمَح بمكة لبني قُراد الفِهْريين، وسبب تسميته بذلك أن بني جُمَح ابن عمرو وبني محارب بن فهر كانت بينهما حرب وكلاهما من قريش، وقد اقتتلوا بمكة فقاتلت بنو محارب بني جُمَح أشد القتال، ثم انصرف الفريقين فردمت بنو جُمَح على قتلاهم يومئذ فسمي بذلك، عاتق البَلاَدي: معجم معالم الحجاز، ص٦٨٨، ٦٨٩.

كما ساهمت المرأة المغربية ببعض الأعمال ومنها: إنشاء بعض الأربطة في مكة، وأسهمت بدورها في تسهيل إقامة المجاورين والعمل على مصالحها، فنجد السيدة عائشة ابنة علي بن عبدالله بن عطية الرفاعي المغربي الشهيرة بالظاهرية(ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م) ودلت نسبة أبيها أنها من النساء المغربيات، والتي أنشأت رباطاً بأسفل مكة يعرف بها، وقد أوقفت على هذا الرباط داراً بالقرب من المسجد الحرام عند باب الصفا(٢)، وكانت هذه السيدة من الصالحات تقيم برباطها وتعقد بهذا الرباط حلقات الذكر والتسبيح للنساء والأوراد كل يوم سبت، بجانب إطعام الطعام للفقراء والمتصوفة، وتعمل للنساء المجتمعات عندها طعاماً (٣).

(١٠) العمل في خدمة الأضرحة

اشتغل المجاوون المغاربة في خدمة بعض أضرحة الصحابة والصالحين في مكة المكرمة، كزين الدين أبو الفضل بن أبي اليسر محمد بن أبي الخير بن عبدالقوي البجائي (ت٩٢٦هـ/١٥٢٥م) الذي كان يعمل خادمًا لضريح السيدة خديجة رضي الله عنها بالمعلاة (٤).

=

(١) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٥٣؛ الدر الكمين، ج١، ص٤٣٤، ٤٣٥.

(٢) باب الصفا: هو أحد أبواب الجدار الجنوبي للبيت الحرام، وعرف هذا الباب بباب عدي بن كعب وبباب بني مخزوم، ثم سمي بباب الصفا،لأنه يلي الصفا ويقابله ويستقبل الخارج من هذا الباب الصفا، واستمر اسمه عليه منذ ق٢هـ/٨م، حتى التوسعة السعودية للمسجد الحرام، طه عمارة: تاريخ عمارة، ص٩٩.

(٣) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٣، ص١٤٨٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٢، ص٧٧.

(٤) جار الله بن فهد: نيل المنى، ص٢٤٠، ٢٤١.

ومن الواضح أن العاملين في الوظائف الدينية والإدارية والخدمية من الوافدين والمجاورين المغاربة شكلوا أعداداً كبيرة، وتنوعت مهامهم وخدماتهم، وقد انعكست هذه الاسهامات بشكل إيجابي على الحياة العامة بالحرمين الشريفين.

المبحث الثاني

مهن وحرف المغاربة في الحرمين الشريفين

تعد المهن والحرف [١] من المقومات الأساسية لحياة المجتمعات، والتي توفر لهم الخدمات الأساسية لمعيشتهم، وقد انعكست الأنشطة المهنية والحرفية على الجانب الاجتماعي والاقتصادي، وساهم النشاط الحرفي في انتظام معظم القائمين به في طوائف خاصة أو أفراد كان لها الأثر الإيجابي في تعاون المشتغلين فيها وتآزرهم، وانعكاس ذلك على أوضاع أسرهم وذويهم وعامة الناس بالمجتمع المكي والمدني والوافدين عليه[٢].

وقد اختلط المغاربة بالمجتمع الذي عاشوا فيه وعملوا في مختلف المهن والحرف بالحرمين الشريفين، وربما الذي دفع هؤلاء المغاربة للعمل في هذه المجالات، إما لطول إقامتهم ببلاد الحرمين الشريفين، نظرًا لأن نفقات الرحلة

(١) المهن: جمع مهنة وفي اللغة : الحذق بالخدمة والعمل باليد، واصطلاحاً: هي مجموعة من الأعمال تحتاج إلى خبرات ومهارات معينة يؤديها الفرد من خلال ممارسات تدريبية؛ أما عن الحرف: جمع الحرفة وفي اللغة : من الاحتراف وهو الكسب وقيل الاحتراف: هو الاكتساب أياً كان، وقيل: الحرفة هي الصنعة، والمحترف هو الصانع الذي يصنع ويعمل بيديه، واصطلاحاً: هي جهة الكسب، والفرق بين المهنة والحرفة، أن المهنة أشمل وأعم من الحرفة لأن المهنة كل عمل يقوم به الإنسان، أما الحرفة فهي الصنعة أي العمل اليدوي الذي يجريه الصانع في صنعته، ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٤٤؛ ج١٣، ص٤٢٤؛ الفراهيدي: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد(ت١٧٥هـ/٧٩١م)، كتاب العين، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٣، ص٤٢؛ ج١، ص٣١٢.

(٢) شريفة بنت صالح المنديل: حرف العلماء ومهنهم في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي(٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد (٨)، العدد(٤)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص١٩٦٩.

التي تزود بها هؤلاء المغاربة، لا تفي أحياناً بمتطلبات الإنفاق على المرتحل، خاصة عند إقامته لعدة سنوات فكان لزاماً عليهم أن يتدبروا أمر معاشهم داخل المجتمع المكي والمدني(١)، أو أن الظروف والحاجة لم تكن تساعدهم أو تؤهلهم لشغل المناصب أو العمل في أي مجال أخر غير مجال اشتغالهم بالأعمال الحرفية، وقد مارس المغاربة أعمالاً متنوعة من المهن والحرف، اتسم طابعها بالطابع اليدوي، ونقلوا خبراتهم في ميدان الزراعة والصناعة والتجارة، وتركوا بصمات واضحة في مختلف نواحيه، سواء في الغذاء والصحة واللباس والسكن وغيره من متطلبات الحياة، ولم يمنعهم طلبهم للعلم واشتغالهم به أن يمارسوا بعض المهن والحرف، وقد أسهموا من خلال ذلك بدعم النشاط الاقتصادي ببلاد الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي، ومن هذه المهن والحرف الآتي:

(أولاً) حرفة الزراعة

لم تكن أراضي مكة صالحة للزراعة إلا هناك بعض الأودية المحيطة بها كانت بها أراض خصبة للزراعة، واعتمد أهل مكة في حاجاتهم الاقتصادية على ما يجلبه لهم أهل القرى القريبة منها(٢)، وبعكس ذلك اشتهرت المدينة المنورة بمزارعها وبساتينها لخصوبة الأرض بها(٣)، وقد اعتمدت كل من مكة والمدينة

(١) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص٥٩؛ ٩٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٥٦٢.

(٢) الإدريسي: أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس(ت٥٤٨هـ/١١٥٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص١٤٠، ١٤١؛ ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٧٠؛ محمد محمود خلف العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك(٦٤٨– ٩٢٣هـ/١٢٥٠– ١٥١٧م)، دارة الملك عبدالعزيز، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠١م، ص١٧١.

(٣) السمهودي: نور الدين علي بن أحمد(ت٩١١هـ/١٥٠٥م): وفاء الوفاء بأخبار دار =

المنورة في الزراعة علي مياه الأمطار والعيون والآبار[١]، وكانت الأراضي في الغالب مقسمة إلى ملكيات صغيرة ومنها ملكيات كبيرة خاصة بالأشراف[٢].

وقد ساهم المغاربة الذين قدموا إلى بلاد الحرمين الشريفين بدور مهم في النشاط الزراعي، وعلى الرغم من قلة المعلومات المتوفرة في المصادر المتاحة بين أيدينا في عمل المغاربة في الحقول الزراعية والبساتين المجاورة لبلاد الحرمين الشريفين، إلا أن هناك بعض الإشارات المصدرية التي تشير إلى عمل المغاربة بحرفة الزراعة، حيث قاموا باستصلاح الأراضي في الأودية المحيطة بمكة والمدينة المنورة وعملوا فيها، ونقلوا الكثير من الخبرات المغربية في مجال الزروع والغرس والبستنة المتنوعة، مما ساهم في زيادة منتجاتها الزراعية خلال الحقبة التاريخية، ويذكر ابن جبير عن مكة قائلاً: " وهذه الفواكه تُجْلب إليها..، ومن أودية بقرب من البلد..، قد جلب إليها المغاربة من ذَوي البصارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع، فكانوا أحد الأسباب في خصب هذه

=

المصطفى، تحقيق:خالد عبدالغني محفوظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م،ج٤، ص١٦١، ١٦٢؛ محمد الكردي: التاريخ القويم، ج١، ص٣٣.

(١) الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م): المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٢٥، ٣١؛ ٤٢؛ عبدالرحمن المديرس: المدينة المنورة، ص٨٦؛ محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية، ص١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

(٢) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص٣١؛ ٢٩٩؛ جار الله بن فهد: حسن القرى، ص٥١-٦٠.

الجهات، وذلك بفضل الله عزّ وجلَ، وكريم اعتنائه بحرمه الكريم وبلده الأمين"[١].

وفي أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، نجد بعض المجاورين المغاربة الذين مارسوا حرفة الزراعة واشتغلوا في الحدائق بالمدينة المنورة، وذلك ما أورده ابن فرحون عن الشيخ الصالح أبو محمد عبدالله البسكري[٢] أنه كان له أصحاب مغاربة يأتون إليه لزيارته، وهم يوسف الخولي، وحسن الخولي، ومحمد المكناسي، وهؤلاء سكنوا رباط دُكالة[٣]، وكانوا يقومون بالعمل في حدائق المدينة المنورة، وإذا جاءوا إليه لزيارته "حملوا معهم شيئاً من رُمَام البقول[٤] " [٥].

(١) ابن جبير: رحلة، ص٩٩.

(٢) هو الشيخ أبو محمد عبدالله بن عمر بن موسى البسكري المغراوي الجزائري، كان حياً في أوائل ق٨هـ/١٤م، وكان من أعيان وأكابر بلده، وقد خرج من بسكرة قاصداً الحج، واستقر بالمدينة وجاور بها مدة طويلة، فأقام بالمدرسة الشهابية مدة ثم انتقل إلى رباط دكالة وكان رجلاً صالحاً محباً للخير وكان يحسن الخياطة ويشفق على الضعفاء والمساكين، ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص٥٩، ٦٠؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٦٦– ٧٠.

(٣) رباط دُكالة: قيل أنه منسوب إلى جماعة من أهل دُكالة من بلاد المغرب الأقصى، نزلوا بالمدينة المنورة وقاموا بإنشائه، وقد اشتروا هذا الموضع بأموال من أعمال أيديهم وبنوا فيه هذا الرباط، ويقال له رباط المغاربة وكان يشتمل على بيوت وغرف يسكنها المجاورون المغاربة من الصلحاء، ابن مرزوق: أبو عبدالله محمد بن مرزوق التلمساني (ت٧٨١هـ/١٣٧٩م): المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، الطبعة الأولى، منشورات وزراة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٢٢١؛ عبدالرحمن المديرس: المدينة المنورة ، ص١٤٦.

(٤) رُمَام البقول: الرُّمامُ مِنَ البَقْلِ حِينَ يَبْقُلُ، والبَقْلِ: كل نبات عشبي يتغذى به الإنسان كالخضروات ومنها: الفاصوليا واللوبيا والفول والعدس، ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٢٤٥.

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص٦٠؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٦٦.

وهناك بعض الإشارات المصدرية التي تشير إلى أن بعض المغاربة قد امتلكوا أراضي وحدائق من النخيل، ويبدوا أنهم قد مارسوا أعمال الزراعة من خلال ما ارتبط من أعمالهم التي قاموا بها في مكة والمدينة المنورة، مثل أبو فارس عبدالعزيز بن زكنون التونسي(ت٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) الذي نزل بالمدينة المنورة وجاور بها، واشترى نخيلاً بها وأوقفها[١]، وقد أشار ابن بطوطة في ثنايا حديثه ولقائه بالمجاورين المغاربة بمكة سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، أن الفقيه أبو محمد عبدالله بن فرحان الإفريقي التوزري، كان له ابن عم اسمه حسن، وهو من سكان وادي نخلة[٢][٣]، وليس بمستبعد أن المغاربة الذين سكنوا في المناطق المجاورة حول مكة والمدينة المنورة قاموا بأعمال الزراعة والتجارة [٤]، مما نتج عنه تلبية وحاجات أهالى الحرمين الشريفين من المنتجات الغذائية في معاشهم.

وتعد مهنة الحِطابة [٥] من المهن المرتبطة بالجانب الزراعي، ومهمة الحطاب القيام بجلب الحطب من الأودية وغيرها وبيعها في الأسواق المخصصة لها كسوق الحطابين[٦] بالمدينة المنورة، تلبية لاحتياج الناس لها إما للتدفئة

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص١٨٠.

(٢) وادي نخلة: هو وادي كبير يقال له بطن نخل ويعرف بنخلة الشامية، وبنخلة اليمانية، ويبعد عن مكة ليلتين على طريق اليمن، وهذا الوادي عبارة عن قرى مجتمعة ذات عيون وحدائق كثيرة، وأغلب ما فيه من فواكه وخضروات وحبوب تجلب إلى مكة، جار الله بن فهد: حسن القرى، ص١٢، ١٣.

(٣) ابن بطوطة: رحلة، ج١، ٣٨٥، ٣٨٦.

(٤) ابن جبير: رحلة، ص٩٩.

(٥) الحطابة: هي مهنة تطلق على من يجمع ويحتطب الحطب وبيعيه في الأسواق، ويقال له له الحطاب، ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٣٢٢.

(٦) سوق الحطابين: يقع بالجبانة أي المقبرة وهو موضع يقع شمال المدينة المنورة بالقرب من من مسجد الراية وثنية الوداع، السمهودي: وفاء الوفاء، ج٢، ص٢٥٠؛ ٢٦٩.

أوالطبخ وغيره، ومن المجاورين المغاربة الذين عملوا بحرفة الحطابة؛ إبراهيم المغربي المعروف بالحطاب(ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) الذي نزل بالمدينة المنورة، وكان معتنياً بالعبادة كثير الحج، وظل مجاوراً بالمدينة مدة طويلة حتى توفي بها[١]، ويستدل من اسمه على أنه كان يعمل حطاباً بالمدينة المنورة.

(ثانياً) المهن والحرف الصناعية

شهدت الصناعة ازدهاراً كبيراً في الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي بسبب توافر المواد الخام اللازمة للصناعة، ولم يكن المغاربة من المهنين وأرباب الحرف اليدوية بمعزل عن المشاركة في النشاط الصناعي في الحرمين الشريفين، ومن المهن والحرف التي عمل بها المغاربة الآتي:

(١) الخياطة

احترف بعض المغاربة حرفة الخياطة، ومنهم أحد المجاورين بالمدينة المنورة الشيخ أبو الحسن علي السلاوي الذي كان يشتغل بالخياطة وانتفع بها، وهو من أصحاب أبو محمد عبدالله ابن فرحون المالكي(ت٧٦٩هـ/١٣٦٨م)[٢]، وكذلك فتح الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبدالدائم الزواوي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) كان خياطاً خيراً[٣]، ومنهم أيضاً موسى المغربي الخياط بمكة(ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)[٤].

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٩٣.

(٢) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص١٦٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٨٨.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٩٣.

(٢) الدَّهان

ارتبطت حِرفة الدَّهان[١] بالبناء، وذلك من خلال العمال المهرة في طلاء وزخرفة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمنازل وغيرها، ومن المغاربة المهرة الذين عملوا بهذه الحرفة، عبدالله بن إبراهيم بن أحمد بن أبي العباس محمد بن عبدالله العفيف بن البرهان المرجاني التونسي المغربي المعروف بالزعبل الدهان(ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) الذي كان يعمل بدهن السقوف وغيرها من المنشئات المعمارية بمكة، بجانب اشتغاله بالعَمِر[٢] أيام المواسم،ولم يمنعه عمله من ملازمة العلماء والأخذ عنهم[٣].

(٣) الصياغة

عمل بعض العلماء المغاربة بالصياغة بجانب اشتغالهم بالعلم ومنهم: الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي عبدالله بن محمد بن علي بن جعفر الأنصاري الرصفاي المغربي (ت٨٩٢هـ/١٤١٦م) الذي نزل بمكة، وسكن وادي نخلة الشامية[٤]، وكان يعمل صائغاً بها هو وأولاده وقد ورث من والده نقداً كثيراً [٥].

---

(١) الدهان: مصدر الفعل دهن، طلاء ما يطلى به الجدار وغيره من الأصباغ أو الزيوت، ابن منظور: لسان العرب، ح٨، ص٤٣٧.

(٢) العَمِر : هو المنديل أو غيره تغطي به المرأة رأسها، والعَمِر: مفردها العَمارة، والعَمْرة: وهي ما يُوضع على الرأس من عمامة وغيره كالعمرة، وهذه الحرفة ارتبطت بمهنة التجارة والخياطة، ومهمته بيعها، ويقال له العمري، وقد انتشرت في بلاد الحجاز وقتذاك، الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص٨٤؛ هامش رقم(٢)، ج٥، ص٣٣٩.

(٣) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٩٠٤، ٩٠٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٢.

(٤) نخلة الشامية: يقال اله المضيق الأعوج، وبستان ابن عامر، وهو واد خضر نضر في ضواحي مكة من جهة الشرق، يسكنه عرب هذيل بطن من مضر، وهو يقع بوادي نخلة وتشتمل نخلة الشامية على قرى كثيرة فيها نخيل وأشجار وعين جارية، جار الله بن فهد: حسن القرى، ص٩٩، ١٠٠.

(٥) العز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٤٨٧، ٤٨٨.

(٤) العطارة

تعد العطارة من المهن التجارية التي اشتهرت في بلاد الحرمين الشريفين، ويطلق على بائع العطر وما يلحق به عطاراً، فالعطور وما يتعلق بها من الأمور الجمالية التي يقبل عليها الناس للتطيب والتجمل، بجانب ذلك بيع الأعشاب والعقاقير الطبية لأنها تدخل في إعداد الطعام، وكذلك يقوم العطار بدور الطبيب والصيدلي[١]، وقد اشتهرت أسواق العطارة سواء في مكة[٢] والمدينة المنورة[٣]، وممن امتهن العطارة من المغاربة، حسين بن الزين بن محمد بن محمد القيسي القسطلاني(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) كان عطاراً [٤]، وكذلك محمد بن أحمد بن محمد القسطلاني (ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م) كان عطاراً بمكة [٥]، وكذلك الشيخ محمد بن علي بن محمد بن علي بن فرحون الملقب بالشمس اليعمري المادح (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) ويعرف بابن المجلد، وقد تكسب محمدالقسطلاني بالعطر قليلاً [٦].

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٤٣٠، ج١١، ص٣٨٦.

(٢) منها سوق العطارين بمكة ويقال له سوق النداء أو الندى، ويعد من أشهر أسواقها لكونه أكبر الأسواق في العطارة واختص ببيع أنواع العطارة من البهار والبخور على اختلاف أنواعها ويقع هذا السوق بالقرب من باب بني شيبة بمكة، ابن بطوطة: رحله،ج١، ص٣٨٠؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٥٤.

(٣) سوق العطارين بالمدينة يقع بالقرب من سوق الصواغ، السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢، ص٢٤٨، ٢٤٩.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٢٠٨؛ النجم عمر بن فهد: اتحاف الورى، ج٣، ص٢٤٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٧٩.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٢٢.

(٥) النجارة

حرفة النجارة:هي صناعة تحويل الخشب، وترتبط بها صناعات خشبية تلبي احتياجات وضروريات الناس في العمران، مثل نجارة البناء ونجارة الأثاث والأدوات المنزلية، وتعتمد هذه الحرفة على المواد الأولية المحلية والمستوردة [١]، وتحتاج أيضاً إلى المهارة والإتقان، ومن المغاربة الذين عملوا بحرفة النِجارة في المدينة المنورة، آدم المغربي النجار(كان حياً سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م) الذي نزل بالمدينة المنورة، وكان رجلاً صالحاً وظل مجاوراً بالمسجد النبوي مدة طويلة حتى توفي بالمدينة[٢].

(٦) الخِرازة

ارتبطت حرفة الخرازة[٣] التي تقوم على خياطة الجلود بالصناعات الجلدية، ويبدو أن هذه الحرفة كانت متطورة بالمدينة المنورة خلال العصر المملوكي، وذلك لقدوم عدد من المغاربة والأندلسيين في هذه المهنة وممارستها خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الهجري، كالشيخ أبو الحسن الخرّاز والشيخ أبو عبدالله الخرّاز، اللذان أقاما في بيت واحد فوق الثلاثين سنة مجتمعين على صناعة واحدة، يخرزون في بيتهم هم وأتباعهم لأنفسهم النعل وغيرها [٤].

(ثالثاً) حرفة التجارة

ازدهرت الحركة التجارية في بلاد الحرمين الشريفين، وتنوعت الأسواق بالبضائع المختلفة المجلوبة من كافة بلدان العالم الإسلامي، وارتبط المغرب

(١) عبدالرحمن المديرس: المدينة المنورة ، ص٩٨.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٥٩.

(٣) الخِرازة: هي خياطة الأدم أي الجلد، ابن منطور: لسان العرب، ج٥، ص٣٤٤.

(٤) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص١٠٤؛ عبدالرحمن المديرس: المدينة المنورة، ص١٠٠. ص١٠٠.

الإسلامي بروابط اقتصادية مع المشرق الإسلامي، وذلك استكمالاً لروابطها الدينية والثقافية[١]، وقد تجلت تلك الروابط الاقتصادية في تصدير المنتجات المغربية إلى أقاليم المشرق الإسلامي، وكان يقوم بعملية الاستيراد والتصدير وحركة التبادل التجاري تجار من أهل المشرق والمغرب، وكانت لهم خبرة واسعة في هذا المجال، وتمثل النشاط التجاري للمغاربة في التجارة الداخلية والخارجية.

وكانت الأوضاع الاقتصادية في بلاد الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي غير مستقرة في بعض الأحيان، فكانت تتردد بين الازدهار والركود، وذلك راجع إلى حالة التجارة؛ لأن اقتصاد بلاد الحجاز منذ عصور قديمة قائم على التجارة بحكم موقعها الجغرافي[٢]، وقد تنوعت المهن التجارية المختلفة داخل بلاد الحرمين الشريفين، فهناك من التجار المغاربة الذين مارسوا التجارة بالحوانيت داخل مكة والمدينة المنورة، ومنهم من عمل بالتجارة الموسمية والسفر إلى مكة والمدينة المنورة وخارجها، ومنهم من مارس التجارة بنوعيها سواء داخل مكة والمدينة المنورة أو مع البلدان الأخرى، وقد كان للتجار مآثر على المجتمع الذي عاشوا فيه، لما كانوا يتمتعون به من ثروات طائلة وأخلاق فاضلة.

أما عن المغاربة الذين عملوا في التجارة ببلاد الحرمين الشرفين نذكر منهم: حسن بن أحمد بن ميمون بن أبي الفتوح قاسم التونسي المعروف بالمغربي(ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) الذي كان يعمل بزازًا[٣]، ويبيع البَزّ بالقيسارية[١]

(١) شريفة المنديل: حرف العلماء ومهنهم، مج (٨)، ع (٤)، ص١٩٦٧، ١٩٦٨.

(٢) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٣٣؛ عبدالرحمن المديرس: المدينة المنورة، ص١٢١.

AshtorEliyahu: East – West trade in the medieval Mediterranean variorur reprints, London, 1986, p. 291.

(٣) البَزَّازُ: يطلق على بائع البَزّ، والحرفة البِزازَةُ، والبَزُّ في اللغة: هو الثياب أو متاع البيت من الثياب وغيره، ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٣١١، ٣١٢.

المعروفة بدار الإمارة بمكة[٢]، وكذلك إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عبدالله التلمساني التونسي المعروف بالزعبلي(ت ٨٢٩هـ/١٤٢٥م) الذي كان يتكسب بصنعة العَمِر وبيعها بمكة[٣]، ومن الواضح أن المتاجرة في الأقمشة كانت من الأعمال الرائجة آنذاك.

ومن المغاربة أحمد بن يحيى بن عيسى بن عياش بن إبراهيم العوكلي القسنطيني(ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م) الذي نزل بمكة وحج واستقر بها، وكان ماهراً في آلات التجارة [٤]، وكذلك عيسى التلمساني المغربي الدلال (ت٨٦٨هـ/١٣٦٣م) والملقب بالغندور والزلباني نزيل مكة[٥]، ويستدل من اسمه

=

(١) القيسارية: أنشأها أمير مكة ونائب السلطان بالحجاز بدر الدين الشريف حسن بن عجلان بن رُميثة بن أبي نَمى سنة ٨١٥هـ/١٤١٣م، بعد أن أستأجرها مدة سنة وعمرها وتقع هذه القيسارية بالقرب من باب بني شيبة بمكة، وتوفي الأمير حسن بالقاهرة سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م، الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١١٥؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٣، ص١٠٣، ١٠٤؛ والقيسارية: جمعها قياسر وهي السوق المسقوفة وأطلق عليها أيضاً الخان أو الوكالة، وهو بناء يحتوي على غرف ومخازن للتجار والمسافرون، تبيع سلعاً معينة، ويعلوه طباق للسكنى بارتفاع دورين أو ثلاثة، ولها باب يغلق ليلاً ويعين عليها حارس يقوم بحراستها، سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٤٦٣؛ مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات، ص٣٥٧.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٦٧.

(٣) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٥٨٤- ٥٨٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٤٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٥٩.

على أنه كان يعمل دلال بمكة، وقد عرف ببلاد الحرمين الشريفين دلاّل الكتب ودلال الرقيق ودلال الدور والسلع وغيره [١].

وكذلك الشيخ الفقيه أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمن بن يعلى الحميري القسنطيني المغربي المالكي المعروف بابن يونس (ت٨٧٨هـ/١٤٧٣م) نزيل الحرمين الشريفين، والذي حج وجاور بهما فترة ثم عاد لبلده، ولكنه رحل مرة ثانية للحج واستقر بمكة، وجاور بالمدينة المنورة، وكان إماماً عالماً في علوم عدة، وبجانب علمه كان قائماً بالتكسب خبيراً بالمعاملة ممتهناً لنفسه بمخالطة الباعة والسوقة من أجلها، ولم يزل مقيماً بالمدينة المنورة حتى توفي بها [٢]، ومنهم أحمد بن أبي بكر بن عبدالملك بن أحمد بن محمد بن حسين بن التاج علي القسطلاني القباني(ت٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) الذي جاور بمكة وكان يتكسب بالقبان[٣][٤]، ومن الواضح أنه كان يمارس التجارة في السلع التي توزن في البيع والشراء في الأسواق سواء كانت من الخضروات أوالحبوب وغيرها.

وهناك من المغاربة الذين عملوا في التجارة وكانوا يتنقلون بين العديد من البلدان الأخرى، ومن هؤلاء نذكر منهم: الشيخ إمام الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن الزين القسطلاني (ت٧٥٤هـ/١٣٥٣م) كان خيراً وذا مال وافر، وكان

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٤٠٥؛ الضوء اللامع، ج٥، ص٧٠؛ ج٦، ص٣٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص١٦٠، ١٦١.

(٣) القَبّانُ: وهو الميزان ذو الذراع الطويلة المقسمة أقساماً، ينقل عليها جسم ثقيل يسمى الرمانة لتعين وزن ما يوزن، والقباني الوزّان بالقبان، والميزان توزن به المحاصيل الزراعية وما ثقل منها، ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص١٧٦، ج١٣، ص٣٣٠، محمد عمارة: قاموس المصطلحات، ص٤٤٦.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٥٦.

يسافر في التجارة إلى اليمن[١]، وكذلك محمد بن يحيى بن عيَّاد الصنهاجي (ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م) كان يتردد إلى اليمن بقصد التجارة، وحصَّل دُنيا، لكنها غرقت منه فعظم أسفه عليها وتعلل بعدها حتى مات[٢]، وكذلك التاجر مساعد بن حامد بن مساعد المصراتي المغربي(ت٨٧٠هـ/١٤٦٦م)الذي امتهن التجارة، وتردد إلى بلاد الحجاز مراراً وحج وجاور بها، وكان يتنقل بتجارته متجولاً بين الحجاز ومصر والهند[٣]، وهناك مرتحلون من المغاربة خرجوا بدافع الحج والعلم والاتِّجار، فقد رافق ابن بطوطة في رحلته عندما زار مكة سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، تاجر تلمساني ويعرف بالحاج زيان التلمساني[٤]، ويبدو أنه من التجار المتجولين[٥].

ومن الواضح أن المجاورين المغاربة قاموا بدور مهم في إنعاش الحركة التجارية في بلاد الحرمين الشريفين، نتيجة بقائهم فيه لسنوات طويلة، ولقد ساعد المغاربة على تنشيط التجارة الخارجية لبلاد الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي أسباب منها:

_ الاهتمام بتأمين طرق قوافل الحج والتجارة من قبل الحكام: وتمثل ذلك في دور سلاطين بني مرين[٦] بتعمير طرق المسافرين وتوفير الحماية الخاصة

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٣٩، ٣٤٠.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٨٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٥٤، ١٥٥.

(٤) لم أقف على ترجمة له.

(٥) ابن بطوطة: رحلة، ج٤، ص٢٤٣.

(٦) بنو مرين: هم من قبائل زناتة البربرية وقد تولت الحكم في المغرب في الفترة (٦٦٨- ٨٦٩هـ/١٢٦٩- ١٤٦٥م)، وعاصمتها مدينة فاس، ودخلوا في خدمة الموحدين، وقد نجح المرينيون في عهد الأخوين أبو يحيى عبدالحق (٦٤٢- ٦٥٧هـ/١٢٤٤- ١٢٥٨م)، ثم =

على ركب الحج المغربي، من خلال العلاقات والسفارات التي سادت بين سلاطين دولة بني مرين وسلاطين المماليك بمصر[١]، ويذكر ابن خلدون قائلاً:" واستجد أهل المغرب عزماً في قضاء فرضهم، ورغبوا من السلطان إذنه لركب الحاج في السفر إلى مكة" [٢]، وكثيراً ما كانت هذه السفارات تنشط في موسم الحج، ومهمتها حمل الهدايا الملكية إلى سلاطين مصر بهدف تأمين ركب الحج المغربي، مع رسائل مرينية في شأن هدايا للبقاع المقدسة والتوصية بركب

=

أبو يوسف (٦٥٧– ٦٨٥هـ/١٢٥٨– ١٢٨٦م) أن يستولوا على العديد من المدن كمكناس وفاس ومراكش، وتوسعوا في الجزائر واستولو على وهران وتلمسان، ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن محمد الفاسي(كان حياً في ق٨هـ/١٤م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط،١٩٧٢م، ص٢٧٨– ٢٨٧؛ ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهرس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م،ج١، ص٣٧٥؛ الناصري: أبو أحمد بن خالد بن محمد(كان حياً سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م)، الاستقصاالأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م،ج٤، ص٣– ٦.

(١) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٢٩٩، ٣٠٠؛ ج٧، ص٢٦٥، ٢٦٦؛ الناصري: الاستقصا، ج٣، ص١٢٧؛ محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، الطبعة الثالثة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٦٩– ١٨٤.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٧، ٢٩٨، ٢٩٩.

الحجيج، وما يحمله من بضائع وسلع متنوعة من بلاد المغرب، باعتبار مصر مجاز الحجاج المغاربة إلى الديار المقدسة(١).

ويبدو أن عدد الحجاج المغاربة كان من الكثرة ما استوجب معه الحماية في الرحلة، خاصة مع ما يحمله من هدايا وأموال وبضائع كثيرة، وما يلحق بهم الضرر من قبل قطاع الطريق والمفسدين منهم (٢)، نظراً لأن التجارة ببلاد الحرمين الشريفين ارتبطت بمواسم الحج والزيارات، وكان لموسوم الحج كبير الأثر على الازدهار التجاري وأحد مواردها، فالتجارة في موسم الحج أمر طبيعي وضروري للحاج والمسافر، وكان طريق الحجاج المغاربة يمر عبر الأراضي المملوكية بمصر، مما خلق حركة تجارية على امتداد الطريق، بما كان يحمله الحجاج، والتي كانت في كثير من الأحيان تضم العديد من أنواع البضائع والمنتجات والسلع والصناعات المغربية التي تحتاجها بلاد المشرق ومنها بلاد الحرمين الشريفين(٣).

---

(١) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص١٧١.

(٢) من عمليات النهب التي تعرضت لها قوافل الحج المغربي من قبل الأعراب والقبائل التي كانت على الطريق الرابط بين حواضر بلاد المغرب والمشرق، والتي يقطع عليها الطريق ولا يسمح بمرورها إلا بمبلغ من المال، وذلك ما حدث في سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، حيث خرج الشريف الأمير سعد بن أبي الغيث بن قتادة بن إدريس بن جسن الحسني الينبعي، المتوفي سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، والذي كان أميراً على بلدة ينبع أكثر من مرة وعزل منها، وقد خرج على قافلة حجاج المغرب بوادي العقيق، وطلب منهم أموالاً وعندما قاوموا استنجد عليهم بأفراد من قومه وقتلوا الحجاج، المقريزي: السلوك، ج٥، ص١٦٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٤٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٣٤١.

(٣) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٨٨، ٢٨٩؛ سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٧٢م، ص٣٤٢.

ومن هذ البضائع والكماليات التي ترد إلى أسواق مكة في موسم الحج، ما ذكره ابن جبير قائلاً:" ولم يكن لها من المتاجر إلا أوان الموسم ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب، فيُباع فيها في يوم واحد، فضلاً عما يتبعه، من الذخائر النفيسة كالجواهر، والياقوت، وسائر الأحجار، ومن أنواع الطيب: كالمسك، والكافور، والعنبر والعود، والعقاقير الهندية، إلى غير ذلك من جلب...، والبضائع المغربية، إلى ما لا ينحصر ولا ينضبط، ما لو فرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافقة ولعمّ جميعها بالمنفعة التجارية" [١].

وكان التجار المغاربة مرافقين لقوافل وركب الحج المغربي ويمارسون نشاطهم طوال الرحلة ذهابًا وإيابًا من البيع والشراء [٢]، وحمل التجار عبء الاشتغال بالتجارة الخارجية، وتوفير الأموال اللازمة للتجارة المصاحبة لقوافل الحج وكانت الأقمشة الثمينة والحلي الذهبية المغربية هي أهم ما تحمله هذه القوافل ويباع منها في أسواق مصر وبلاد الحرمين الشريفين[٣]، كسوق مسيل الواقع بين الصفا والمروة والذي كان يعرض به بضائع وسلع مغربية [٤]، ومن

(١) ابن جبير: رحلة، ٩٧.

(٢) الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبدالواحد التلمساني المالكي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: د محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، الرباط، المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١، ص٣٨٧، ٣٨٨.

(٣) روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، سلسلة مراكز الحضارة، مكتبة لبنان، ١٩٦٧، ص١٣٨، ١٥٩؛

Dhinaatallah: Les etats de Loccidentmusulman aux 13, 14 et 15 siecles institution, gouvernementales et administratives, office des publications universitaires, alger. p.363.

(٤) البلوي: تاج المفرق، ج١، ص٣٠٧، ٣٠٨؛ ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٨٠.

الواضح أن قوافل الحج المغربي أدت دوراً مهماً في النشاط الاقتصادي لبلدانهم أو البلدان التي مروا بها ومنها إلى بلاد الحرمين الشريفين.

وارتبطت المعاملات النقدية لأهل الحرمين الشريفين بما كان سائدا في الديار المصرية[١]، وعادة ما كانت تعاملات التجار المغاربة تتم عن طريق الوكالة التجارية والمراسلات التي انتشرت في بلاد المغرب الإسلامي خلال الحقبة التاريخية، حيث تسهل هذه العملية على التاجر عناء السفر والتنقل ذهاباً وإياباً، بما يساهم في توفير الوقت والمسافات بجانب توفير السلع، وكانت تدر أرباحاً طائلة على أصحابها[٢].

ويتضح مما سبق أن التبادل بالهدايا أهم تعبير عن الود والسلم، بجانب تعريف الملوك ورعايا البلدان على منتوجات بعضهم البعض، ولا شك أن أعمال سلاطين المماليك خففت من معاناة الناس كثيراً خاصة عند تعرضهم صعوبات كثيرة واجهتهم في هذا الطريق، نتج عن ذلك تنشيط المبادلات التجارية، وتحفيز التجار على القيام بأنشطتهم من وإلى المغرب الإسلامي.

(رابعاً) المهن والحرف العلمية والاجتماعية

كان هناك من العلماء المغاربة الذين تركوا آثاراً ثقافية واضحة في مجتمع الحرمين الشريفين، وذلك من خلال تنوع المهن والحرف التي مارسها العلماء المغاربة في الحرمين الشريفين، ما بين مهن وحرف تتناسب مع المكانة والوضع العلمي لهم، وأخرى أقل مكانة ولكنها تطلبت في تأديتها مهارة واتقان، وهي في الغالب كانت حرف متوارثة، ومن هذه المهن الآتي:

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) الونشريسي: المعيار، ج٦، ص٢٠٧؛ بشارى لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري(١٣- ١٦م)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٣٢، ١٣٣.

(١) نسخ الكتب وتجليدها

انتشرت المكتبات في بلاد الحرمين الشريفين منها الخاصة أو العامة[١]، وتعد الورَّاقة[٢]، من المهن المهمة في المجال العلمي والاقتصادي، والتي تقوم على عدة أمور منها: حرفة النسخ وبيع الورق وأدوات الكتابة وتجليد الكتب وبيعها، وقد امتهن حرفة النساخة عدد من المغاربة نذكر منهم:

الشيخ عبدالواحد الجزولي(ت٧١٧هـ/١٣١٧م) الذي جاور بالمدينة المنورة وسكن برباط دكالة وكان مكباً على نسخ العلم وله كتب كثيرة بخطه أوقفها كلها قبل موته[٣]، وكذلك الفقيه أبو عبدالله محمد بن فرحون التونسي الملقب بالشمس(ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م) الذي رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، وجاور بمكة والمدينة المنورة، ولم يكن لديه من النفقة سوى ما أعدَّه في الطريق، وقد اشتهر بحسن الخط مع الصحة والضبط، وكان يستعين بما يحصل له [٤]، ويبدو أنه استغرق فترة من الزمن في النسخ، حتى بعد نزوله إلى المدينة المنورة.

ومنهم: أحمد بن أبي الخير محمد بن حسين القسطلاني (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) الذي جود الكتابة، وصار يكتب الوثائق[٥]، وكذلك محمد بن عبدالله بن أحمد التونسي المعروف بابن المرجاني(ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) كان له

---

(١) البلوي: تاج المفرق، ج١، ص٣٠٦؛ الفاسي: العقد الثمين،ج١، ص٣٣١؛ ٣٣٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٢٨١.

(٢) الوراقة: هي من أجود الحرف والصنائع لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم، ووثائق الناس وعُهَدهم، ويقال لمن يبع الورق ورّاقٌ، الوَرَّاق: هو الذي يُوَرِّق وَيَكْتُبُ، ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٣٧٥؛ السبكي: معيد النعم، ص١٣٢.

(٣) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص٦٠، ٦١؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٢٢٠، ٢٢١.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٥٦٢.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص١٣٦.

خط جيد كتب به الكثير في الفقه واللغة العربية[١]، ومن الفقهاء المغاربة من عمل بحرفة النسخ ويبتغي المثوبة من الله – تعالي– كالفقيه عبداللطيف بن أحمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي(ت٨٢٢هـ/١٤٠٩م) كان سريع الكتابة، وكتب بخطه الكثير لنفسه وغيره دون أجر[٢].

ومن الحرف التجارية التي عمل بها العلماء المغاربة المجاورون بمكة والمدينة المنورة حرفة التجليد والتذهيب إلى جانب تجارة الكتب، ومهمتهم أن يجلد ما ينسخه الناسخ من كتب، كما يعمل على ترميم وإعادة ما تتعرض له الكتب من تلف أوراقها وتساقطها من كثرة الاستخدام، ومن هؤلاء المغاربة الشيخ محمد التلمساني(ت ٧٥٤هـ/١٣٥٣م) كان من أهل الخير والصلاح محباً للعلماء، وكان يشتغل بتجليد الكتب وانتفع الناس به كثيرًا [٣]، وكذلك محمد بن عمر بن أحمد بن عزم التميمي التونسي الشهير بابن عزم (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) الذي كان يعمل بالتجليد وتجارة الكتب ما بين مصر ومكة [٤]، وغيرهم الكثير[٥].

(٢) التدريس

ساهم عدد كبير من المجاورون المغاربة بنصيب وافر في إثراء الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، وتثقيفهم في دراسة العلوم النقلية والعقلية بجوانبها المختلفة، وكرسوا جهودهم في ذلك من خلال مهنة التدريس في الكتاتيب الخاصة والعامة، وحلقات العلم والدراسة والمناظرات في الحرمين الشرفين والمدارس والربط، حيث قاموا بتعليم وتأديب الأطفال وإقرائهم القرآن الكريم، إما

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٥١؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٨٢.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص١٦٥.

(٤) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٢٤٩، ٢٥٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٥٥.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص١٨٤.

تقرباً إلى الله منهم، أو بأجر معلوم يدفع لأصحابها، فكانت مصدر دخل لكثير منهم، وكذلك سماع طلاب العلم من المجاورين لمختلف العلوم في اللغة العربية والحديث والفقه والقراءات والتفسير، بالإضافة إلى قيام العلماء منهم برواية العلم، مما كان له الأثر البالغ على المجتمع المكي والمدني والوافدين عليه، ويشير ابن جبير لكثرة حلقات العلم والمدرسين بالحرم الشريف قائلاً:" والحرم مُحدقٌ بحلقات المدرسين وأهل العلم" (١)، ويذكر أيضاً:" والحرم قد غصّ بالخلق، فيدخله الجميع ولا يضيق عنهم بقدرة الله عز وجل" (٢)، وقد اشتملت المصادر على عدد كبير من المغاربة الذين اشتغلوا بمهنة التدريس، ومن أشهرهم نذكر منهم الآتي:

الشيخ محمد بن عبدالله السبتي المغربي(ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م) نزيل المدينة المنورة وكان من قدماء المجاورين بها، وله الفضل على أهل المدينة والمجاورين بها في تعليمهم القرآن الكريم، وكان بكتابه أكثر من مائة متعلم رتبهم على شكل مجموعات (٣)، وكذلك الشيخ المقرئ أبو عبدالله محمد بن غصن القصري الأنصاري التونسي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) الذي نزل بالمدينة المنورة وجاور بها أكثر من مرة، وكان عالماً بالقراءات، واشتغل مؤدباً للأقراء قرب المقام النبوي الشريف، وكان له مجلس وعظ يقام بعد صلاة الصبح من يوم الجمعة يحضره خلق كثير من المجاورين والخدام والرجال والنساء والصبيان، وكان وعظه يقدٌّ القلوب قدًّا، ويفتح باباً مُوصداَ(٤)، وكذلك محمد بن ثابت الأنصاري المراكشي(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) كان له معرفة بالقراءات السبع، وكان يؤدب

(١) ابن جبير: رحلة، ص٦٨.

(٢) ابن جبير: رحلة، ص٧٦.

(٣) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص١٦٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٥٠٥.

(٤) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص٧٧، ٧٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٥٥٩.

الأطفال بمكة عند أحد أبواب الحرم الشريف[١]، ومنهم يوسف بن علي بن سليمان القروي(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الذي نزل بمكة وجاور بها سنين كثيرة، وقد عمل مؤدباً بها وأنشأ كُتاباً خاصَا به، وقد عُرف بكُتاب القروي يؤدب فيه الصبيان، ويقع مكان الكُتاب بجهة الجانب الشامي من المسجد الحرام[٢]، وكذلك أبو عبدالله محمد بن محمد بن ميمون الجزائري المعروف بابن الفخار (ت٨٠١هـ/١٣٩٩م) الذي رحل إلى مكة وحج، ثم أقام بالمدينة المنورة خمسة سنوات يؤدب الأطفال بها[٣]، وكذلك يحيى الزواوي المقرئ الذي كان متصدرا للإقراء في الحرم الشريف[٤]، وكذلك هبة الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد الفاسي المغربي (ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م) نزيل مكة وشيخ الإقراء على الإطلاق[٥]، ومنهم يحيى بن أحمد بن يحيى الزندوني المغربي (ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م) الذي جاور بمكة، ونزل بالمدينة المنورة، واشتغل مؤدباً بتعليم الأبناء القرآن الكريم[٦]، وكذلك رضوان المغربي الذي رحل إلى المدينة المنورة ومعه زوجته فأقام يعلم الأبناء القرآن[٧]، وكذلك أيوب بن سليمان المغراوي المؤدب(كان حيا سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م) نزيل المدينة المنورة والمجاور بها[٨].

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٤٣٥.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٨٨؛ ج٥، ص٣٦٤.

(٣)الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٢٦، ٣٢٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٣، ٢٤.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٥٩.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٠٧، ٢٠٨.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٢٢.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٤٨.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣٣١.

ولم يقتصر العلماء المغاربة في الإقراء على القرآن الكريم، بل منهم من أقرأ في الحديث والفقه والعلوم العربية وغيرها، كالشيخ محمد بن مبارك القسنطيني المغربي(ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م) الذي استوطن المدينة المنورة واشتغل بالتدريس بها في الفقه واللغة العربية، وانتفعوا به، وامتدحه أهل المدينة لخلقه وعلمه[١]، وكذلك الشيخ محمد بن مبارك القسنطيني(ت٨٦٨هـ/١٤٦٤م) الذي نزل بالمدينة المنورة واستوطنها وأقرأ الطلبة في الفقه والعربية[٢]، وكذلك أحمد بن بن يونس بن سعيد القسنطيني(ت٨٧٨هـ/١٤٧٣م) الذي كان بمكة وقام بتدريس علم الحساب وأخذ عنه أهل مكة والمجاورين بها والوافدين عليها[٣].

وقد مارس العلماء المغاربة دورهم العلمي بالتدريس في المدارس بالحرمين الشريفين، خاصة تدريس المذهب المالكي لطلبة العلم أثناء مجاورتهم، ومن أبرز العلماء المغاربة نذكر منهم:

الشيخ محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن التوزري القسطلاني (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م) الذي قدم إلى مكة، وكان عالماً بالحديث والفقه، وقد تولى تدريس المذهب المالكي بمدرسة ابن الحداد[٤] المهدوي بمكة[٥]، وكذلك الشيخ

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٩٥، ٢٩٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٥٧٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٥٢.

(٤) تنسب هذه المدرسة إلىأبو منصور عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبدالحق المهدوي المعروف بابن الحداد الذي أوقفها سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م. على طلاب المذهب المالكي، وقد عرفت أيضاً بمدرسة الأشراف الأدارسة لاستيلائهم عليها، ويذكر أن الذي أوقفها جماعة من أهل المغرب تبرعوا ببناء المدرسة، وقد نسبت إلى أبي الحداد لأنه كان يقوم بالتدريس بها، الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٣٣٥؛ شفاء الغرام، ج١، ص١٦٠؛ سليمان مالكي: مرافق الحج ، ص٨٦.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢.

أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أبي القاسم محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري الأُبَّدْي الجياني التونسي المعروف بابن فرحون (ت٧٢١هـ/١٣٢١م) الذي نزل بالمدينة المنورة واستوطنها وكان يدرس بالمدرسة الشهابية[١]، ثم انتقل إلى التدريس بالمسجد النبوي[٢]، والفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي الذي تولى التدريس بالمدرسة الشهابية خلفا لوالده سنة ٧٢٣هـ/١٣٣٢م، وكان له ولوالده جهوداً عظيمة في نشر المذهب المالكي بالمدينة المنورة[٣]، وكذلك أبو الربيع سليمان الونشريسي (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م) الذي اشتغل بالتدريس في المدرسة الشيرازية[٤] والعمل على شئونها بالمدينة المنورة[٥]، وكذلك الفقيه الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن رزق

(١) المدرسة الشهابية: تقع بجوار المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وقد أنشأها الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف الدين بن أبو بكر الأيوبي صاحب ميافارقين، المتوفي سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م، وكان يدرس فيها المذاهب الأربعة، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة من الشام والمدينة المنورة، السمهودي: وفاء الوفاء، ج١، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٥٦٢- ٥٦٤.

(٣) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص٨٠.

(٤) المدرسة الشيرازية: لم أقف على مؤسسها الأول ومن خلال اسمها يبدو أنها تنسب إلى أحد أهالي مدينة شيراز، وتفيد الرويات بأن مؤسسها الثاني هو الشيخ إبراهيم العريان الرومي، الذي أقام بالمدينة المنورة فوق الخمسين سنة، وكان شيخاً صالحاً زاهداً، وقد أقام على إدارة شؤون المدرسة حيث أشترى نخلاً وأوقفه عليها وجدد عمارتها بنفسه وماله إلى أن توفي سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، ثم خلفه الشيخ أبو الربيع الونشريسي وهو من أصحاب ابن فرحون، ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص١٠٧؛السخاوي:التحفة اللطيفة،ج١،ص٩١؛ ٤٢٤.

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص١٠٧، ١٠٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٤٢٤؛ ٤٢٥.

الله الأنجري الطنجي(ت في أواخر ق٨هـ/١٤م) الذي جاور بمكة سنين كثيرة وتوفي بها، وقد اشتغل بوظيفة التدريس بالمدرسة المظفرية[١] وكان له بيتا فيها، وكان يعلم الناس فيها نهاراً ويأوي بالليل إلى مسكنة برباط ربيع [٢]، وكذلك خليل بن هارون بن محمد بن مهدي بن عيسى الصنهاجي الجزائري (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٣م) نزيل مكة، كان فقيهاً عالماً بالحديث جاور بمكة والمدينة المنورة واستقر في مكة وجلس للتدريس بها حتى توفي[٣]، وكذلك القاضي تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي(ت٨٣٢هـ/١٤٣٢م) الذي جاور بمكة والمدينة، وبدأ التدريس في الحرم المكي، وتولى أيضاً التدريس للمالكية بالمدرسة السلطانية الغيثائية البنجالية[٤] بمكة[١]، وكذلك الشيخ أبو

(١) المدرسة المظفرية: تقع في الجانب الغربي من المسجد الحرام، وتنسب للملك المنصور نور الدين أبو الفتح عمر بن علي بن رسول (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) صاحب اليمن ومكة، وقد أوقفها على الفقراء الشافعية، وقام بعمارتها على يد الأمير فخر الدين الشلاح سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م، وقد عرفت هذه المدرسة باسم المدرسة الفخرية او بمدرسة الشلاح ثم عرفت بالمدرسة المنصورية وسميت باسم مدرسة السلطان أو المظفرية نسبة إلى الملك المظفر والد الأمير فخر الدين، الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٣٣٩؛ ٣٤٨؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٨٧.

(٢) ابن بطوطة: رحلة، ح١، ص٣٩٢.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٢٣.

(٤) المدرسة الغياثية: وتسمى أيضاً بالمدرسة البنجالية، وقد أنشأها السلطان غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين غياث الدين السجستاني الأصل صاحب بنجالة من أقاليم بلاد الهند، كان ملكاً جليلاً ذا حظ من العلم والخير والصدقات محباً للفقهاء، وقد قرر السلطان تشييد هذه المدرسة، فأرسل لعمارتها أحد ثقاته ياقوت الغياثي الحبشي (ت٨١٥هـ/١٤١٢م) الذي قام بعمارتها عند باب أم هانئ في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام بمكة، وذلك في سنة ٨١٤هـ/١٤١١م، وقرر السلطان بها =

عصيدة أحمد بن أحمد المشدالي البجائي (ت٨٦٥هـ/١٤٦٠هـ) الذي نزل بالمدينة المنورة، وكانت له حلقة علمية في الروضة الشريفة بين المنبر والضريح الشريف، ويجلس بعد صلاة الجمعة مستقبلاً الحجرة مستنداً على المحراب النبوي الشريف ويدرس علم الحديث وغيره، ويحضر مجلسه خلق كثير من العلماء الأعلام والسادات الكرام والزوار خاصة في شهر رمضان(٢).

أما عن التدريس في الأربطة والمرتبطة بالحرمين الشريفين، فلم يكن الرباط مجرد إقامة للمجاورين وإيواء الفقراء والمساكين فقط، بل كان به نزلاء من العلماء والفقهاء والمتصوفة والزهاد المغاربة، وكان بهذه الأربطة مدارس لتدريس العلوم والمجالس العلمية والفتوى ومنح الإجازات ومكتبات توقف عليها الكتب وغيرها من أعمال الوقف(٣)، ومن المغاربة الذين قاموا بالتدريس بالأربطة وتركوا أثرا واضحاً من خلال العمل بالرباطات التي أنشئت في الحرمين الشريفين، الشيخ عبدالواحد التونسي المالكي المعروف بابن الكاتب(ت٧٦٠هـ/١٣٥٨م) كان إماماً

=

دروساً على المذاهب الأربعة، وتوفي غياث الدين سنة ٨١٤هـ/١٤١١م، الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٢٠- ٣٢٢؛ النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٨١؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٣؛ ج١٠، ص٢١٤.

(١) الفاسي: العقد الثمين،ج١، ص٣٣١؛ ٣٣٩.

(٢) أبو عصيدة: أحمد أبو عصيدة البجائي(ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م)، رسالة الغريب إلى الحبيب، تعريف وتعليق وتلخيص: أبو القاسم سعد الله، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص٦٤، ٦٥.

(٣) حسين عبدالعزيز حسين شافعي: الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٩١.

فاضلاً جاور بمكة فترة طويلة، وكان يفتي في مسكنه برباط الموفق، ويشتغل فيه بجانب اشتغاله في المسجد الحرام [١]، وكذلك الصالح المبارك أبو العباس الغماري، من أصحاب الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن رزق الله الأنجري الطنجي(ت في أواخر ق٨هـ/١٤م) وقد سكن رباط ربيع وتوفي بمكة، ومنهم الصالح أبو يعقوب يوسف من بادية سبتة[٢] وكان يعمل في خدمة الشيخين السابقين، فلما توفي صار شيخ الرباط بعدهما، ومنهم الصالح السابح السالك أبو الحسن علي بن فرغوس التلمساني[٣].

ومن الواضح أن المغاربة ساهموا بنصيب وافر في تطوير وازدهار الحياة الثقافية، وقدموا خدمات جليلة مع غيرهم من المجاورين من مختلف أمصار العالم الإسلامي، مما أدى إلى نبوغ الكثيرين من أبناء الحرمين الشريفين والوافدين عليه.

(٣) الطب

ارتبطت مهنة الطب بالعديد من النواحي في الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية[٤]، وقد مارس المغاربة مهنة الطب بمكة والمدينة المنورة، ومنهم أبو عثمان سعيد بن عبدالله بن محمد بن عبدالحكم الزواوي المليانى الحكيم (ت في أوائل ق ٨هـ/١٤م) الذي نزل بمكة وجاور بها، وكان رجلاً عارفاً بالطب، وقد استفاد منه أهل مكة ونقلوا عنه حكايات عجيبة في الطب، تدل على

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٢٩، ٥٣٠.

(٢) سبتة(Ceuta): مدينة تقابل الجزيرة الخضراء في الأندلس، وهي احدى المعابر المشهورة التي تقع على ساحل بحر المغرب الأقصى شمالاً تجاه مضيق جبل طارق، الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص١٨٢.

(٣) ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٩٢، ٣٩٣.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٥٠٨؛ ٥٢٠.

مدى معرفته بعلم الطب[١]، وكذلك نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي الخير محمد بن حسين بن الزين محمد القسطلاني(ت قبل سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) كان له عناية بالطب واشتغل به في مكة، وقد سافر إلى الهند ولقي هناك قبولا ورواج في الطب[٢]، وكذلك أبو الحسن علي بن فرخوص التلمساني المغربي نزيل الحرمين الشريفين، كان من أجلاء مشايخ الغرب الإسلامي المتجولين بين بلدان المشرق والمغرب، وقد جاور بالمدينة المنورة، واتصل بكبار الدولة ووزرائها وعظماء أهل مكة، وكان عالماً في علوم عدة ومنها الطب [٣].

(٤) الوثائق

ترتبط الوثائق بالقضاء، وفي الغالب كان يمارسها القاضي بنفسه، ومهمة كاتب الوثائق تسجيل الدعاوى وضبط الأحكام الصادرة عن القاضي في الأقضية، وقد تعددت أنواع توثيق العقود التي يستخدمها الناس، فيعمل كاتب الوثائق على تحرير العقود والوثائق باختلافها، كعقود البيع والإجارة والشركة والهبة والكفالة والحوالة والوكالة والرهن والقرض والصلح والوصية والوقف وعقود النكاح والطلاق وغيرها[٤].

ومن المغاربة الذين مارسوا كتابة الوثائق، القاضي عبدالمؤمن بن خليفة عبدالملك الدّكَّالِي المغربي(ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) نزيل مكة، كان رجلاً فقيهًا صالحًا، ناب في العُقود عن القاضي شهاب الدين الطبري بمكة [٥]، وكذلك

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٥٨٣.

(٢) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج١، ص٢٩٧- ٢٩٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٢٩١.

(٤) وهبة مصطفى الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، الطبعة السادسة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٤، ص٢٤٢؛ ٢٤٨؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص٩١٩.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥١٩.

الشهاب أحمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي (ت٨١٩هـ/ ١٤١٦م) كان ذا معرفة بالأحكام والوثائق، وناب في العقود عن أحد القضاة بمكة[١]، وكذلك عبدالله بن أحمد بن حسين بن الزين محمد القيسي القسطلاني (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م) كان ذا معرفة بالشهادة وكتابة الوثائق والسجلات والدَّعاوى، واشتغل فيها وقصده الناس لتحريرها وتعليمهم ما يَخفى عنهم من الحُجَج[٢]، كما باشر يحيى بن أبي الخير محمد بن عبدالقوي البجائي (ت٨٥٩هـ/١٤٥٤م) مباشرة الشهادة والتوقيع[٣] عند قضاة مكة[٤]، وكذلك ولده زين الدين جعفر بن يحيى بن محمد بن عبدالقويالبجائي(ت٨٩٤هـ/١٤٩٠م) الذي عينه القاضي برهان الدين بن ظهيرة الشافعي[٥] للتوقيع على بابه، بعد أن أعجب بأمانته وثقته ومهارته فاشتهر بذلك وأقبل عليه الناس[٦].

(٥) الشهادة

تعد الشهادة من المهن الدينية التابعة للقضاء والمرتبطة بالمجتمع، فالشهود: هم الأشخاص الذين يقومون بدراسة القضايا والتأكد من صحة البيانات

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣٦.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٩٧، ٩٨؛السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٥.

(٣) التوقيع: هو كاتب الرسائل والمكاتبات بأمر السلطان أو نائبه ويسمى الموقع والموقعون، السبكي: معيد النعم، ص٣١.

(٤) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص١٢٤٩، ١٢٥٠.

(٥) هو القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي، ولد ولد بمكة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م، ونشأ بها، وتولى برهان الدين عدة مناصب وكان قاضي القضاة وخطيب الخطباء وناظر المسجد الحرام، وقد توفي سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م، النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٦٠٦؛ ٦٠٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٨٨، ٨٩.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٧٠؛ العز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٥٨٥، ٥٨٦.

والأدلة التي يقدمها المتنازعون ثم يشهدون عليها، وتعينهم وعزلهم من قبل القاضي، لأنه يعتمد عليهم في إصدار حكمه [١]، نظراً لمعرفته بالأحكام الشرعية والعدل، وتعددت أنواع شهود القضاء منها: شهود العدول: وهم الذين يزكون الشهود أمام القاضي لثقته بهم، ومنهم أيضاً شهود يحررون سجلات الأراضي وإجارات الدور والديون وغيرها[٢]، ومنهم: شهود السبيل وكانوا يسمون شهود المحمل، ويقومون بمصاحبة المحمل وتصرف لهم مرتبات من الديوان[٣]، ومنهم: شهود القيمة، وهم المكلفون بتقييم وتثمين ما يتنازع عليه الشركاء من مال يقسم [٤].

وقد مارس المغاربة العمل بالشهادة في بلاد الحرمين الشريفين ومنهم: الشيخ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن حسن القسطلاني(ت٨٢٦هـ/١٤٢٢م) الذي تكسب بالشهادة [٥]، وكذلك يحيى بن محمد بن عبدالقوي البجائي (ت٨٥٩هـ/١٤٥٦م) الذي تكسب بالشهادة، وحُمد فيها وذاع صيته[٦]، وكذلك شهاب الدين أحمد بن عبدالقوي بن محمد بن عبدالقوي بن أحمد البجائي (ت٨٦١هـ/١٤٥٦م) الذي تكسب بتحمل الشهادة والجلوس لها[٧]، وكذلك محمد

(١) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٦٥٤؛ فتحية عبدالفتاح النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٤٩؛ ١٥١.

(٢) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص٦٢٠، ٦٢١.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٤٤٣.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص١٩٧؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص٦٢١.

(٥) النجم عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٤٦٩، ٤٧٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ج١، ص٣٥٥.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٥٠.

(٧) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، تحقيق وتعليق: محمد الزاهي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٦١.

بن أحمد بن أبي الخير محمد بن حسين القيسي القسطلاني(ت٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) كان عين أهل بلده في المكاتيب، وباشر الشهادة عند القضاة [١]، وفخر الدين أبو بكر بن أبي الفضل بن أبي البركات القسطلاني(ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م) الذي كان يتكسب بالنساخة والشهادة بباب السلام [٢].

ومن الواضح أن للعلماء للمغاربة دوراً مؤثراً في إثراء الحياة العلمية والاجتماعية بين أفراد المجتمع المكي والمدني، بجانب ذلك أن العلماء المغاربة الذين عملوا بالمهن والحرف، لم يشغلهم طلب الرزق عن الاشتغال بالعلم، بل بعضهم عمل في مختلف المهن والحرف وتميز بكثرة السماع والإجازات العلمية أثناء رحلاته بين أقطار العالم الإسلامي.

(١) النجم ابن فهد: معجم الشيوخ، ص٢١٠، ٢١١؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٦١.
(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص٦٦.

الخاتمة

أحمد الله أن وفقني لإنهاء هذه الدراسة، وبعد الانتهاء أوجز أهم النتائج على النحو الآتي:

١- كشفت الدراسة عن طبقات المغاربة في الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي، فكانوا طبقات متعددة، ولم يكونوا على مستوى واحد في الحياة المعيشية والأثر والمكانة، فهناك من يتمتع بالحظوة والمكانة العالية الأمر الذي ساعده في تحسين حالته المعيشية، وضمن لهم حياة كريمة، في حين أن هناك منهم من لم تسعفه المكانة فاكتفى بحياة التقشف والبساطة، وتمثلت طبقات المغاربة من أعيان وعلماء وطلبة علم وأصحاب مهن وحرف، شكلوا جزءاً من الهيكل الاجتماعي لمجتمع الحرمين الشريفين، وساهموا في شتى ميادين الحياة العامة.

٢- بينت الدراسة تباين فترة المجاورة للمغاربة نظراً للأهمية الدينية للحرمين الشريفين واستأثرت باهتمام عدد كبير منهم، فكانت المدة تطول وتقصر حسب الظروف الخاصة ورغبة المجاور، وهناك من فضل البقاء بالحرمين الشريفين حتى وفاته، ونتج عن الجوار عدد من العلماء والفقهاء والزهاد والصوفية في مجتمع الحرمين الشريفين، والمساهمة في شتى ميادين الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية.

٣- أظهرت الدراسة تمتع العلماء المغاربة بمكانة عالية بالحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي، وذلك من خلال ظهور الأسر العلمية المغربية ومساهتمهم وتأثيرهم في كثير من ميادين الحياة العامة، وتوليهم الوظائف والمناصب الهامة وتوارث المنصب بينهم في بعض الأحيان، من قضاء وإمامة وخطابة وإفتاء وتدريس وغيره، بجانب حضور العلماء وأثرهم في الحياة العامة، حيث لم ينشغلوا عن أداء واجبهم الديني والعلمي، وذلك من

خلال مساهمتهم في الوظائف الإدارية والأنشطة المهنية والحرفية التي تناسب مكانتهم العلمية.

٤- رصدت الدراسة مشاركة المجاورين والوافدين المغاربة في مواسم الحج من العلماء والفقهاء والمتصوفة في دعم الحياة الدينية والثقافية في الحرمين الشريفين من خلال التدريس بالمدارس والأربطة وحلقات العلم ومجالسه في الحرمين الشريفين في العلوم النقلية والعقلية، وساعدهم على ذلك الأوقاف التي وجدت في الحرمين الشريفين، ووفرت الإقامة للبعض منهم مما جعلهم يتفرغون للعلم دون الحاجة للتفكير في معاشهم.

٥- كشفت الدراسة عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية وذلك من خلال دور المجاورون المغاربة في الأوقاف والعديد من الأعمال الخيرية المتنوعة في الحرمين الشريفين، والتخفيف من الأزمات الاقتصادية التي كانت تلم بالأهالي بين الحين والآخر، كمساعدة الفقراء والمحتاجين ووقف الكتب على المؤسسات العلمية، وكذلك وقف بعض المنشآت والأراضي وتعمير الربط والأسبلة وغيرها، ابتغاء الثواب من الله – تبارك وتعالى- وأبرزت دورهم في مختلف أنشطتهم واشتغالهم بالحرف والمهن، التي وفرت الأشياء الضرورية والتكميلية في حياة المجتمع من تلك الصناعات وغيرها، مما كان له الأثر الواضح في شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية.

٦- أوضحت الدراسة أن عامل الأمن من عوامل مقومات التجارة، فضلاً عن سياسات الحكام سواء من حكام المغرب الإسلامي أو حكام مصر، ومدى حرصهم على تأمين ركب الحج المغربي المصاحب لركب الحج المصري والهدايا والعطايا والأوقاف على بلاد الحرمين الشريفين، لا سيما في موسم الحج ودور قوافل الحج المغربي في حركة التجارة وممارسة التجار المغاربة أعمال التجارة أثناء الترحال من المغرب الإسلامي إلى بلاد الحرمين الشريفين والعكس.

انتهى بتوفيق الله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(أولاً) المصادر العربية

- **ابـن الأثيـر:** عـز الـدين أبـو الحسـن علـي أبـي الكـرم محمـد الجـزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):

(١) اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الأزرقـي:** أبـو الوليـد محمـد بـن عبـدالله بـن أحمـد بـن الأزرق(ت نحـو سنة٢٥٠هـ/٨٦٥م):

(٢) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق: رشدي صالح مَلْحَس، دار الأندلس، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

- **الإدريسي:** أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس(ت٥٤٨هـ/١١٥٥م):

(٣) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- **ابن إياس:** أبو البركات محمد بن أحمد الناصري الحنفي(ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م):

(٤) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- **ابـن بطوطـة:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

(٥) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.

- **البلوي:** أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد(كان حياً سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م):

(٦) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، صندوق احياء التراث الإسلامي المشترك بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دون تاريخ.

– **الترمذي**:محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):

(٧) الجامع الكبير سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، ١٩٩٨م.

– **ابن تغري بردي**: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م):

(٨) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

(٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– **جار الله بن فهد**: جار الله محمد بن العز بن النجم بن فهد المكي(ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م):

(١٠) حسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(١١) نيل المُنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى(تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٢هـ إلى ٩٤٦هـ)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الطبعة الأولى، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

– **ابن جبير**: أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي(ت٦١٤هـ/١٢١٧م):

(١٢) رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

- **الجوزي:** شمس الدين أبو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزي(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م):

(١٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق: محمد أنس الخن، كامل محمد الخراط، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

- **ابن حجر:** أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م):

(١٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- **الحموي:** شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

(١٥) معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- **ابن خلدون:** عبدالرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

(١٦) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهرس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- **ابن خلكان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد إبراهيم الإربلي(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):

(١٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

- **الرازي:** زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي(ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م):

(١٨) مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

– **ابن أبي زرع:** أبو الحسن علي بن محمد الفاسي(كان حياً في ق٨هـ/١٤م):
(١٩) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
– **السبكي:** تاج الدين عبدالوهاب بن على بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م):
(٢٠) معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: أبوزيد شلبي وآخرون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
– **السخاوي:** شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد(ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م):
(٢١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
(٢٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
– **السمهودي:** نور الدين علي بن أحمد(ت٩١١هـ/١٥٠٥م):
(٢٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق:خالد عبدالغني محفوظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
– **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م):
(٢٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
(٢٥) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية، مؤسسة عيسى الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
– **الطبري:** علي بن عبدالقادر(ت١٠٧٠هـ/١٦٥٩م):

(٢٦) الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، إشراف: سعيد عبدالفتاح، تحقيق وتقديم: أشرف أحمد الجمال، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **ابن عبدون التجيبي:** محمد بن أحمد بن عبدون الإشبيلي(ت قبل ق ٦هـ/١٢م):

(٢٧) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، نصوص وترجمات المجلد الثاني، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

- **العز بن فهد:** عبدالعزيز بن النجم بن فهد المالكي(ت٩٢٢هـ/١٥١٦م):

(٢٨) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق ودراسة: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، عبدالرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبدالعالي المحلَبدي، الطبعة الأولى، الناشر: دار القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

- **أبو عصيدة:** أحمد أبو عصيدة البجائي(ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م):

(٢٩) رسالة الغريب إلى الحبيب، تعريف وتعليق وتلخيص: أبو القاسم سعد الله، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

- **الغبريني:** أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله(ت٧١٤هـ/١٣١٤م):

(٣٠) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، الطبعة الثانية، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

- **الفاسي:** تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي(ت٨٣٢هـ/١٤٣٢م):

(٣١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

– **ابن فرحون:** برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري(ت٧٩٩هـ/١٣٨٨م):

(٣٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

– **ابن فرحون:** أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي القاسم المالكي(ت٧٦٩هـ/١٣٦٨م):

(٣٤) تاريخ المدينة المنورة المسمى(نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت.

الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م):

(٣٥) القاموس المحيط، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٣٦) المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

– **القلقشندي:** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م):

(٣٧) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

– **ابن كثير:** عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م):

(٣٨) البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- **الماوردي:** أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م):
(٣٩) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الطبعة الأولى، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- **ابن مرزوق:** أبو عبدالله محمد بن مرزوق التلمساني(ت٧٨١هـ/١٣٧٩م):
(٤٠) المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، الطبعة الأولى، منشورات وزراة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- **المقريزي:** تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):
(٤١) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
- **ابن منظور:** جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م):
(٤٢) لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- **الناصري:** أبو أحمد بن خالد بن محمد(كان حياً سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م):
(٤٣) الاستقصاالأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- **ابن النجار:** محمد بن محمود بن الحسن(ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م):
(٤٤) الدرر الثمينة في أخبار المدينة، دراسة وتحقيق: صلاح الدين بن عباس شكر، الطبعة الأولى، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- **النجم عمر بن فهد:** محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م):

(٤٥) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ.

(٤٦) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، دراسة وتحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤٧) معجم الشيوخ، تحقيق وتعليق: محمد الزاهي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

– **الونشريسي:** أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبدالواحد التلمساني المالكي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م):

(٤٨) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: د محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، الرباط، المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(ثانياً) المراجع العربية

أحمد عمر الزيلعي:

(١) مكة وعلاقاتها الخارجية(٣٠١– ٤٨٧هـ)، الطبعة الأولى، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

– **حسن الباشا (دكتور):**

(٢) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

- **حسن علي حسن(دكتور):**

(٣) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

- **سعيد عبدالفتاح عاشور(دكتور):**

(٤) العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

(٥) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٧٢م.

- **راشد سعد راشد القحطاني:**

(٦) أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- **سليمان عبدالغني مالكي(دكتور):**

(٧) مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- **طرفة عبدالعزيز العبيكان:**

(٨) الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **طه عبدالقادر عمارة:**

(٩) تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، نشر مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٢٠م، ص٩٩.

- **عاتق بن غيث البَلاَدي(دكتور):**

(١٠) معجم معالم الحجاز(١- ١٠)، الطبعة الثانية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- **عبدالرحمن مديرس المديرس:**

(١١) المدينة المنورة في العصر المملوكي(٦٤٩- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م) دراسة تاريخية، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- **علي بن حسين السليمان:**

(١٢) العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- **فتحية عبدالفتاح النبراوي(دكتورة):**

(١٣) تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- **محمد أحمد دهمان:**

(١٤) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- **محمد طاهر الكردي المكي:**

(١٥) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- **محمد محمد أمين(دكتور):**

(١٦) الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- **محمد محمد أمين(دكتور)، ليلي علي إبراهيم(دكتور):**

(١٧) المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨- ٩٢٣هـ)(١٢٥٠-١٥١٧م)، الطبعة الولى، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، مصر، ١٩٩٠م.

- **محمد محمود خلف العناقرة:**

(١٨) الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م)، دارة الملك عبدالعزيز، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠١م.

- **محمد المنوني:**

(١٩) ورقات عن حضارة المرينيين، الطبعة الثالثة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- **محمود محمد عرنوس:**

(٢٠) تاريخ القضاء في الإسلام، المطبعة الأميرية الأهلية، القاهرة، د.ت.

- **مصطفى عبدالكريم الخطيب:**

(٢١) معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **وهبة مصطفى الزحيلي(دكتور):**

(٢٢) الفقه الإسلامي وأدلته، الطبعة السادسة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(ثالثاً) المراجع الأجنبية المعرَّبة

- **روجيه لوتورنو:**

(١) فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، سلسلة مراكز الحضارة، مكتبة لبنان، ١٩٦٧.

– ف. ويستنفلد:

(٢) جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة: عبدالمنعم ماجد، عبدالمحسن رمضان، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.

(رابعاً) البحوث والدوريات

– شريفة بنت صالح المنديل(دكتور):

(١) حرف العلماء ومهنهم في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي(٦٤٨– ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠– ١٥١٧م)، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد (٨)، العدد(٤)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

– عبدالعزيز بن راشد السنيدي(دكتور):

(٢) المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠– ٦٦٠هـ/١١٧٤– ١٢٦١م)، بحث منشور ضمن الأبحاث المقدمة إلىندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ. المنعقدة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، خلال الفترة من ١٣– ١٤٢٦/٨/١٥هـ الموافق ١٧– ٢٠٠٥/٩/١٩م.

(خامساً) الرسائل العلمية

– أحمد هاشم أحمد بدرشيني:

(١) أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي(٦٤٨– ٩٢٣هـ/١٢٥٠– ١٥١٧م) دراسة تاريخية – حضارية– وثائقية من واقع دور أرشيف القاهرة، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- **بشارى لطيفة:**

(٢) التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري(١٣-١٦م)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **حسين عبدالعزيز حسين شافعي:**

(٣) الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكيدراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(سادساً) المراجع الأجنبية

(1)AshtorEliyahu: East – West trade in the medieval Mediterranean variorur reprints, London, 1986.

(2) Dhinaatallah: Les etats de Loccidentmusulman aux 13, 14 et 15 siecles institution, gouvernementales et administratives, office des publications universitaires, alger.